

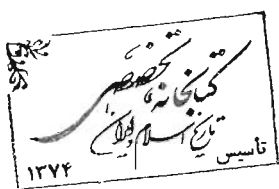
التعليم في هذا السور

تَأَلَّفَ
الدكتور حسين علي حسين الجبوري
أستاذ الحديث المساعد
بجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد



دار الفارابي

المعارف



التَّعْلِيمُ فِي عِلْمِ السُّوَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ^{قُلْ}﴾

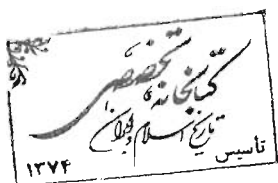
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئُوا الْأَلْبَبِ ﴿﴾

صدق الله العظيم

قال النبي ﷺ

«طلب العلم فريضة على كل مسلم»

التعليم في عهد الرسول ﷺ



تأليف
الدكتور حسين علي حسين الجبوري
أستاذ الحديث المساعد
بجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

دار الفارابي
للمعارف

العنوان: التعليم في عهد الرسول ص
التأليف: الدكتور حسين علي حسين الجبوري
تقديم:
عدد الصفحات: ١٦٠

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل الطرق
الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل
المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من
الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



أسست عام ١٩٦٧ م

طباعة - نشر - ترجمة

سورية - دمشق - حلبوني - شارع مسلم البارودي -

ص.ب: ٢٣٨٢ هاتف: ٢٢٢٦٧٨٦ فاكس: ٢٤٥٢٨٨٦

www.daralfarabi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على معلم البشرية، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد أثبتت الأدلة والشواهد والتجارب أن أساس أي تقدم في أي ميدان من ميادين الحياة وبناء الحضارات هو " العلم " .

ومن هنا فقد حازت رسالة الإسلام الخالدة متمثلة في القرآن والسنة المطهرة على أعظم تراث علمي شهدته الإنسانية في القديم والحديث .

ولا غرابة في ذلك، فقد كان أول خطاب قرآني يتضمن دعوة صريحة إلى التعلم، ومباشرة القراءة بقوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾^(١).

وتتابعت الآيات بعد ذلك تصريحاً وتلميحاً بالدعوة إلى التعلم والتعليم على حد سواء، ثم إن النبي ﷺ عبر عن مضمون الرسالة ومحتواها بأبلغ تعبير حيث حصر مهمته المبعوث من أجلها بقوله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا»^(٢).

ومن أجل ذلك انطلق النبي ﷺ تلبية لنداء القرآن الخالد وعملاً بمضمون

^(١) - الآيات من ١ : ٥ ، سورة العلق

^(٢) - جزء من حديث أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة : ١ / ٨٣ .

رسالته التي عبر عنها، يخطط ويجتهد في وضع سياسة تعليمية شاملة للارتقاء بهذه الأمة الأمية نحو آفاق العلم والمعرفة لتكون خير أمة أخرجت للناس، وقد كانت، وما زالت بحمد الله.

وذلك لأن الكبوة أصابت الأمة كأفراد، ولم تصب المنهج، فالمنهج محفوظ بحفظ الله تعالى له، وتطبيقاته العملية التي عبرت عنه أصدق تعبير في عصر السيرة والخلفاء الراشدين، وما تلتها من تجارب الأمة فيما بعد على مر العصور محفوظة و موثقة عن طريق النقل الصحيح والإسناد المعتبر.

وهذا البحث محاولة متواضعة لاستقراء عهد السيرة، وتدوين ما أمكن من وسائل ومناهج وإشارات تفيد في تطوير العملية التعليمية.

إنه مهما تقدمت مناهج التعليم فلا يزال بحاجة ماسة إلى اللبنة الأولى التي وضعها النبي ﷺ لإرساء نظام متكامل في العملية التعليمية، وذلك لعدة أسباب:

السبب الأول: مكانة النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، تجعل ما يقوله وما يعلمه حقاً خالصاً، وصواباً محضاً.

السبب الثاني: أن العلوم الشرعية لها طبيعتها في التحمل والأداء، وذلك لأنها ترتبط بخشية الله تعالى وترسيخ القيم والأخلاق الإيمانية، وقد عبر عن ذلك كله عصر صدر الإسلام أصدق تعبير.

السبب الثالث: لقد استخدم النبي ﷺ كافة الوسائل المتاحة في عصره ولم يترك وسيلة متاحة إلا واستعملها في أداء العلم وتبليغه، مما يتيح لنا أن نستخدم المتاح في عصرنا، فكل عصر له إمكاناته، ولا عيب في ذلك، ولكن العيب هو التقصير في استخدام الوسائل بل وعدم تطويرها.

السبب الرابع: أنه من الواضح أن الإنتاج الفكري والعلمي وهذا التراث الهائل الذي أنتجته هذه الأمة، والذي تعبر عنه مكتباتها شرقاً وغرباً في شتى

فنون المعرفة ، لم يكن طفرة عارضة ، وإنما حصل بفضل التأسيس الذي وضع
لبنته الأولى معلم البشرية محمد ﷺ .

ومن هنا كان لابد لنا من الإفادة من الطرق والوسائل التي طبقت في
عصر السيرة ، للنهوض بأممتنا لتعود لها السيادة والريادة بإذن الله تعالى ، ومن
أجل ذلك كان هذا البحث .

التمهيد

أولاً: حالة المجتمع العلمية والثقافية عند البعثة النبوية:

القراءة والكتابة هما الوسيلتان الوحيدتان لاكتساب العلم والمعرفة في كل زمان ومكان، فإذا انعدمت هاتان الوسيلتان أو إحدهما، فإن ذلك يؤدي إلى انعدام العلم أو ضموره.

والتأمل لأحوال المجتمع المكي خاصة، ومجتمع الجزيرة بوجه عام، يلحظ ضعفاً بيناً في الناحية العلمية والثقافية، وذلك لأن نصيب القراءة والكتابة يكاد يكون معدوماً، وهذا ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»^(١).

وهذا الحكم على الغالب^(٢)، فقد وجد بعض من يقرأ ويكتب، ولكن على وجه الندرة حيث يذكر بعض المؤرخين أن عدد من كانوا يكتبون في قريش عند دخول الإسلام سبعة عشر رجلاً^(٣).

وربما ذكروا عدداً مقارباً لهذا العدد في المدينة المنورة، حيث حدّهم الواقدي^(٤) بأحد عشر رجلاً.

وهذا يدل بوضوح على قلة القائمين على أمر القراءة والكتابة، وبالتالي

(١) - أخرجه البخاري: الصحيح - كتاب الصوم - باب قول النبي ﷺ: لا نكتب ولا نحسب: ٤ / ١٥١.

(٢) - فتح الباري: ٤ / ١٥١.

(٣) - فتوح البلدان: ٦٦٠.

(٤) - نفس المصدر: ٦٦٣.

على ضعف الجانب العلمي والثقافي في مكة وما حولها، على الرغم من شيوخ رواية الأشعار، والتفاخر بحفظها، والاجتماع لسماعها عن طريق المشافهة والإلقاء. وفي هذا الجو، وفي هذا المكان بُعث معلم البشرية عليه الصلاة والسلام معبراً عن مضمون الرسالة بقوله: «إنما بعثت معلماً»^(١).

^(١) - ابن ماجه - السنن - المقدمة: ١ / ٨٣.

ثانياً: القرآن الكريم يدعو إلى التعلم والتعليم:

نزل القرآن الكريم على سيد البشرية محمد ﷺ ، وأول نداء فيه في أول

آية منه قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾^(١).

وأعاد جبريل صدر الآية ثلاثاً، مما يدل على أهميتها.^(٢)

وأقسم الله عز وجل بالقلم في قوله: ﴿تَوَالَّفَ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣)، وتلك

إشارة واضحة إلى منزلة القلم، وأن العلم ينال بالكتابة، وأنها أصل العلم.

ورفع القرآن من شأن أهل العلم بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ وَالْمَلَكُ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤)، حيث

قرنهم بنفسه مع ملائكته، وذلك لشرفهم وعلو منزلتهم.

وحث القرآن في آيات كثيرة على التفقه، منها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ

كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَحْذَرُونَ﴾^(٥)، كما أوجب في آيات أخرى التبليغ بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ

مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٦).

^(١) - سورة العلق: آية ١ - ٥.

^(٢) - فتح الباري ١ / ٣٠.

^(٣) - سورة القلم: آية: ١.

^(٤) - سورة آل عمران، آية: ١٨.

^(٥) - سورة التوبة، آية: ١٢٢.

^(٦) - سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

ونعى الله عز وجل على الذين يكتمون العلم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا

أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ

وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾^(١).

هذه بعض الإشارات القرآنية، وسواها أكثر تدعو إلى تحمل العلم وأدائه على حد سواء.

وتلك دلالة واضحة على مكانة العلم والعلماء، ودعوة صريحة لاكتساب تلك المكانة السامية.

(١) - سورة البقرة، آية: ١٥٩ - ١٦٠.

ثالثاً: السنة تدعو إلى التعلم والتعليم:

السنة المطهرة صنو القرآن الكريم، فمنذ الوهلة الأولى لنزول الوحي بدأ النبي ﷺ يرسم معالم منهج واضح، ويرغب في سلوك الجادة من أجل تحصيل العلم وتبليغه.

قال عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يبتغي به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(١)، وقال في حديث آخر: «نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب مبلغ أحفظ له من سامع»^(٢).

وفي هذا إشارة إلى الحرص والعناية بتحملة على أحسن وجه، وكذلك القيام بأدائه، فلعل المؤدى إليه يفوق المؤدي في الحفظ والإتقان.

وفي هذا إثبات للفروق الفردية في الحفظ والاستيعاب، فلا يخل شيخ على تلميذه بمعلومة، فربما تلامس أذنًا صاغية وقلباً واعياً وإدراكاً سليماً وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ثم إن قضية أداء العلم وتبليغه، ليست قضية مزاجية تتبع رغبة العالم في الأداء وعدمه، فقد حذر النبي ﷺ من عدم التبليغ أشد تحذير بقوله ﷺ: «من سئل عن علم ثم كتمه ألجمه الله بلجام من نار»^(٣).

وقوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»^(٤).

هذه بعض التوجيهات النبوية التي تدعو إلى طلب العلم وتحمل المشاق في سبيل تحصيله، وكذلك الحال في أدائه وتبليغه.

(١) - أحمد: المسند: ٢ / ٢٥٢.

(٢) - نفس المصدر: ١ / ٤٣٧، وابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله: ١ / ٣٩.

(٣) - أبو داود: السنن - كتاب العلم - باب كراهية منع العلم: ١٠ / ٩١.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل: ٥٧٢ / ٦.

الفصل الأول

خطة النبي ﷺ التعليمية، وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: التأهيل العام.

المبحث الثاني: التخصص.

المبحث الثالث: التعليم المجاني.

المبحث الرابع: كفاية المتعلمين.

المبحث الخامس: تعليم النساء.

المبحث السادس: تعليم الأطفال.

المبحث السابع: البعثات الخارجية.

المبحث الثامن: الرسائل والكتب.

المبحث التاسع: الإفادة من الأمم الأخرى.

المبحث العاشر: إنشاء المدارس.

الفصل الأول

خطة النبي ﷺ التعليمية

تمهيد:

لقد بعث الله محمداً ﷺ برسالة عالمية لجميع البشر، كما أنها الرسالة الخاتمة التي ستبقى ما بقي الليل والنهار.

والأمة التي بعث منها وفيها أمة أمية، لا تكتب ولا تحسب، ومن أجل النهوض بهذه الأمة لتصبح أمة العلم والمعرفة كما أرادها الله عز وجل وضع النبي ﷺ خطته التعليمية الشاملة، وهي أول خطة تعليمية تشهدها البشرية، ولعل المباحث الآتية تكشف عن مضمون الخطة ومحتواها، والله المستعان.

المبحث الأول

التأهيل العام:

التأهيل لغة: أهله لذلك الأمر تأهيلاً، وأهله رآه أهلاً، واستأهله واستوجبه والتأهيل التزويج، وتأهل وتأهل وتأهل اتخذ أهلاً^(١).

والتأهيل سنة إلهية في الكون والحياة يخضع لها كل إنسان ليتأهل حتى يقوم بدوره، والنبي ﷺ كان ممن تأهل لذلك قبل البعثة، فعيشه عند مرضعته حليلة السعدية تأهيل، ورعيه للغنم تأهيل، وتجارته إلى الشام تأهيل، وخلوته بغار حراء تأهيل فكري وروحي لاستقبال وحي السماء.

وقد نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم المؤهل، ليؤهل الأمة لتكون خير أمة أخرجت للناس، ولكن ما وصف هذه الأمة التي بعث منها وفيها، إنها لا تملك مقومات الأمة، فالبائل المتنازعة يسودها الجهل والأمية وتغلب عليها العصبية، وتمزقها النعرات، وتطحنها الحروب.

بُعث محمد ﷺ وكلف من الله عز وجل ليعلم هذه الأمة بصريح القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

عندها أعلن النبي ﷺ عن مهمته التي تركز على جانبيين مهمين يكمل أحدهما الآخر:

^(١) - لسان العرب: ١١ / ٣٠، والمعجم الوسيط: ١ / ٣١.

^(٢) - سورة الجمعة: آية: ٢.

الجانب الأول: «إنما بعثت معلماً»^(١).

الجانب الثاني: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٢).

بهذين المحورين بدأ النبي ﷺ عملية التأهيل وهي عملية شاقة تحتاج إلى همة عالية مع صبر، وتنوع في الأساليب والطرق.

وذلك لأنها تتصل بشرائح المجتمع كافة، وكل شريحة لها طبيعتها وأعرافها، بل في بعض الأحيان تجد لكل إنسان من الطباع ما ليس لغيره، ومن هنا تنوع الخطاب من قبل النبي ﷺ مراعيًا تلك الأحوال ومخاطبًا الناس على قدر عقولهم، ففي حديث علي رضي الله عنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله"^(٣).

والمراد بما يعرفون: أي بما يفهمون، ودعوا ما ينكرون: أي ما يشبهه عليهم فهمه، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، وقال ابن مسعود: "ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"^(٤).

ثم إنه لم يهمل الفروقات الفردية كأسلوب من أساليب التأهيل، فخص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا عنه، هكذا عنون الإمام البخاري في صحيحه^(٥).

وأخذ بقاعدة المصالح والمفاسد، حين أعرض عن هدم الكعبة وإعادتها

(١) - ابن ماجه: السنن - المقدمة: ١ / ٨٣.

(٢) - العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الألباس: ١ / ٢٤٤.

(٣) - البخاري: صحيح - كتاب العلم: ١ / ٢٧٢.

(٤) - ابن حجر: فتح الباري: ١ / ٢٧٢.

(٥) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم: ١ / ٢٧٢.

على قواعد إبراهيم مراعاة لأفهام الناس وإدراكهم ، وعنون البخاري لذلك فقال: باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه^(١).

فأصبح بعد ذلك قاعدة أصولية ذهبية تبنى عليها كثير من الأحكام، ألا وهي: "درء المفسد مقدم على جلب المصالح".

إن نجاح الأسلوب سبب مباشر في نجاح مهمة التأهيل ، وهو في غاية الأهمية ولذلك بدأ النبي ﷺ بيان قواعد الإسلام المهمة، فبين أركان الإسلام بعبارات سهلة جامعة فقال: « بني الإسلام على خمس - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان »^(٢).

ثم بيان أصول الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى.^(٣)

وذلك ليربط الإنسان بربه ليتأهل فيما بعد لطاعة الله عز وجل وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه عن قناعة وطواعة كما حصل في قضية تحريم الخمر، فبمجرد أن وصل خبر السماء إلى الناس أُريقَت دنان الخمر حتى فاضت شوارع المدينة المنورة.^(٤)

وقسْ على هذا بقية الأوامر والنواهي، ولولا تأهيل الناس لذلك لما سمعوا بهذا اليسر وهذه السهولة، ولم ينسَ النبي ﷺ أن يفقههم بمسألة الاعتدال حتى لا يقعوا في الإفراط أو التفريط حين قال: «إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك

(١) - نفس المصدر، كتاب العلم: ١ / ٢٧١.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب دعاؤكم إيمانكم: ١ / ٦٤.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل: ١ / ١٤٠.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب التفسير - باب إنما الخمر والميسر...: ٨ / ١٢٦.

عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه»^(١).

ثلاثة محاور مهمة: صلة الإنسان بربه، وصلته بنفسه، وصلته بالآخرين كفيلة بسعادة هذا الإنسان بل الأمة بأسرها، وتندرج تحت هذه المحاور تفصيلات تشكل قواعداً للتأهيل الاجتماعي والسلوكي، كفيلة بصيانة الأمة وتماسكها. ومن هذه القواعد:

«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»^(٢) - ليتحقق العدل الاجتماعي.

«المسلم أخو المسلم لا يسلّمه ولا يظلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(٣)

ففي ذلك دعوة إلى التكافل والتعاون والتناصح.

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في بيت سيده ومسؤول عن رعيته»^(٤)

وفي ذلك تأهيل لأفراد الأمة لتحمل المسؤولية رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً.

«إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد»^(٥).

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب الأدب - باب حق الضيف: ١٠ / ٥٤٧ - ٥٤٨.

(٢) - نفس المصدر: كتاب الإكراه - باب يمين الرجل: ١٢ / ٣٣٨.

(٣) - نفس المصدر - كتاب الإكراه - باب يمين الرجل لصاحبه: ١٢ / ٣٣٨.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب النكاح - باب قوا أنفسكم وأهليكم ناراً: ٩ / ٢٥٤.

(٥) - مسلم: كتاب الجنة وصفة تقسيمها - باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار: حدث (٦٤).

وفي ذلك تأهيل للتعایش بأمن وسلام:

«لا تحاسدوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً»^(١)

وكان النبي ﷺ يطمع من هذا التأهيل أن يتحقق قوله:

«المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»^(٢).

ولا أريد الإطالة في سرد أحاديثه ﷺ في هذه العجالة، فإنه لم يترك باباً من الخير إلا دل عليه، ولا باباً من الشر إلا حذر منه، علم الأمة الرفق واللين والتعاون والتناصح وآداب الاستئذان، وغير ذلك من حقوق الناس وحسن الصلة وقوة الآصرة وكتب الأدب والمناقب والفضائل، في كتب السنة تكشف عن ضخامة تلك التفصيلات والتوجيهات.

أما طريقته ﷺ فتختلف باختلاف الظروف والأحوال، ومن أبرز طرقه في التأهيل العام:

١- الخطب العامة:

كخطبة الجمعة والعيدين والمواسم حيث كانت مناسبة لتوجيه الناس وتعليمهم، وأعظم خطبة هي خطبته يوم النحر حيث حضرها أكثر من مئة ألف، ومن جملة ما قال فيها: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»^(٣).

ومن تعليمه للناس يوم الجمعة شهادة أخت عمرة بنت عبد الرحمن

(١) - مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظن والتجسس والتنافس ونحوها: ٤ / ١٩٨٥.

(٢) - نفس المصدر - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتراحمهم: ٤ / ٢٠٠٠.

(٣) - مسلم: الصحيح - كتاب الحج - باب حجة النبي ﷺ: ٢ / ٨٩٠.

حيث تقول: "أخذت ﴿قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾ ﴿١﴾ من في رسول الله ﷺ وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة" ^(١)، وقد شهدت صحابية أخرى وهي أم هشام بنت حارثة بن النعمان، حيث تعلمت تلك السورة بنفس الطريقة. ^(٢)

أما خطب العيدين فكانت وسيلة لأداء النصيحة والتعليم، فكان يخطب الناس ويخص النساء بالموعظة والتذكير. ^(٣)

٢- مواعظه ودروسه العامة في المسجد بعد الصلوات:

فهذا العرباض بن سارية رضي الله عنه يقول: "صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر ثم وعظنا موعظة ذرفت منها العيون، ووجلّت منها القلوب... الحديث" ^(٤)

وتشير رواية في صحيح مسلم: «أن النبي ﷺ بقي يوماً كاملاً يخطب، لا ينزل إلا للصلاة فقط، ثم يصعد المنبر يعلم الناس» ^(٥) وهذا النوع من التأهيل لجميع الناس.

٣- أجوبته عن الأسئلة نوع من التأهيل:

ولطالما سألته الأعراب فأجابهم بكل رفق ولين، كما هو حال ذلك الأعرابي الذي قدم من نجد ثائر الرأس، يسمع لصوته دوي، ولا يفقه ما يقول حتى دنا من النبي ﷺ وسأله عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع».

قال رسول الله ﷺ: وصيام رمضان، قال: هل عليّ غيره؟ قال:

(١) - مسلم: الصحيح - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة: ٢ / ٥٩٥.

(٢) - نفس المصدر: ٢ / ٥٩٥.

(٣) - مسلم: الصحيح - كتاب العيدين: ٢ / ٦٠٢.

(٤) - الدارمي: السنن - باب اتباع السنة: ١ / ٤٤.

(٥) - مسلم: الصحيح - كتاب الفتن - باب أخبار النبي ﷺ إلى قيام الساعة: ٤ / ٢٢١٦.

لا إلا أن تطوع.

قال وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع.

قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص.

فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»^(١)

وكان للوفود نصيبها من التأهيل حين يسألون النبي ﷺ ويجيبهم، كما حصل لوفد عبد القيس.^(٢)

بل وقد راعى النبي ﷺ أحوال السائلين حتى وهو على المنبر يخطب الجمعة - كما حدث لأبي رفاعه حيث قال: «انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب، قال فقلت يا رسول الله: رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه؟

قال فأقبل عليّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديداً، قال: فقعد يعلمني مما علمه الله، ثم أتى الخطبة فأتم آخرها»^(٣)

٤- شهوده المناسبات:

وعنون البخاري لذلك باباً فقال: "باب موعظة المحدث عند القبر" واستدل بحديث النبي ﷺ وموعظته، ومن ذلك قوله: «اعملوا، فكل مؤسر لما خلق له»^(٤).

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب الزكاة في الإسلام: ١ / ١٣٠.

^(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب أداء الخمس من الإيمان: ١ / ١٥٧.

^(٣) - مسلم: الصحيح - كتاب الجمعة - باب حديث التعليم في الخطبة: ٢ / ٥٩٧.

^(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب الجنائز - باب موعظة الحديث عند القبر: ٣ / ٢٢٥.

وكثيراً ما كان يغشى الناس في منازلهم ويعود مرضاهم ويعظمهم ويعلمهم.^(١)

وخلاصة الأمر أنه كان لا يدع فرصة من ليل أو نهار في حضر أو سفر إلا ويذكر ويعلم، ويعظ وينصح عليه أفضل الصلاة والسلام.

وهذا المثال يكشف أثر وثمرة التأهيل العام في حياة الناس: "شهد أعرابي فتح خيبر، فأراد النبي ﷺ أثناء المعركة أن يقسم له قسماً وكان غائباً، فلما حضر أعطوه ما قسم له، فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا - وأشار إلى حلقه بسهم - فأدخل الجنة" قال: «إن تصدق الله يصدقك».

قال فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به يُحمل وقد أصابه سهم حيث أشار، فكفنه النبي ﷺ ودعا له، فكان مما قال: «اللهم إن عبدك خرج مهاجراً في سبيل الله فقتل شهيداً، وأنا عليه شهيد»^(٢).

هذا الأعرابي الذي كانت حياته السلب والنهب والسطو، تحولت ببركة التأهيل إلى نموذج طموح يدافع عن الإسلام بل ويبذل روحه في سبيله، وهناك قبصص كثيرة تدل على مثل هذا وأكثر.

وخلاصة القول: استطاع النبي ﷺ أن يؤهل الأمة، كما أنه استطاع أن يقيم مجتمعاً يعرف كل فرد من أفراده موقعه ويفهم ما يراد منه. ولعل السر في نجاحه يرجع إلى عدة عوامل:

١ - ارتباط عملية التأهيل بعقيدة ووحى من الله عز وجل.

(١) - أحمد: المسند: ١١ / ٣.

(٢) - عبد الرزاق الصنعاني - المصنف: ٥ / ٢٧٦.

٢- التدرج عامل مهم ساهم في تحقيق النجاح.

٣- وضوح الفكرة وتحديد الهدف.

٤- مراعاة الفروق الفردية واختلاف طبائع الناس.

٥- الأسلوب وطرق الأداء.

٦- القدوة الحسنة لها تأثيرها في ترسيخ المبادئ والقيم.

٧- التواضع وخفض الجناح.

٨- مداراة الناس والصبر على أذاهم.

٩- الزهد والرضا بالقليل.

١٠- حب الخلق والدعاء لهم.

وعليه فلا بد من الاستفادة من هذا الجهد في أي عملية تأهيلية لاحقة، ومما ينبغي التنبيه له هنا أن ما أصاب الأمة من ضعف في المفاهيم والتصورات، وفي القيم والأخلاق إنما يرجع في المقام الأول إلى إهمال هذا الجانب، وخاصة عندما نمت فكرة الفصل بين التعليم الديني والمدني، لتصبح واقعاً مطبقاً في جامعاتنا ومدارسنا.

ولإصلاح هذا الخلل واستدراك هذا الضعف في مقومات الأمة، لا بد من خطة شاملة تأهيلية تغطي جميع دوائر المجتمع، ترعاها النخب الفاعلة في المجتمع من علماء ومفكرين وتربويين ومصلحين، حتى تتمكن الأمة من استعادة عافيتها لتصبح في موقع الصدارة والريادة كما كانت في عصر صدر الإسلام.

المبحث الثاني

التخصص:

سبق وأن أشرت إلى دائرة التأهيل العام، وهي الدائرة التي تشمل جميع الناس، وهناك دائرة أضيق لا يصلح لها إلا أفراد من الأمة يجمعون بين الموهبة والمقدرة على كسب العلم.

وبما أن علوم الإسلام تمتاز بالسعة والشمول والدقة لتغطي حاجيات المجتمع بكل أشكالها، عَمَدَ النبي ﷺ إلى الاهتمام بالتخصص وتنمية المواهب ببراعة وحسن توجيه، ونستطيع أن نلمح فروع التخصص في توجيه النبي ﷺ أفراداً معينين لكتابة ونسخ القرآن الكريم وغيره، وقد بلغ عددهم واحداً وستين كاتباً.^(١)

وفي نفس التخصص هناك دائرة أخص من كتابة القرآن، ألا وهي الحفظ والإتقان، ففي قوله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب»^(٢).

وهذه إشارة إلى وجود فريق متخصص بإتقان القرآن وضبطه، وربما كان هناك تخصص آخر، وهو جمع القرآن الكريم كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: "مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد، قال ونحن ورثناه"^(٣).

ولذلك لم يجد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عناءً في جمع

(١) - الأعظمي: كتاب النبي ﷺ، ص: ١١١.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ: ٨ / ٦٦٢

(٣) - نفس المصدر: ٨ / ٦٦٣.

القرآن الكريم لأن كُتّابه معروفون ، وأهل الحفظ والإتقان متوافرون - وأهل الجمع جاهزون ، حين جمع أبو بكر القرآن ^(١) ثم جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنهما ^(٢).

ولم يكن أمر السنة ببعيد عن التخصص ، ففريق لكتابتها منهم عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فقد أذن له النبي ﷺ دون غيره ^(٣).
وتفرغ لقضية الحفظ أبو هريرة رضي الله عنه ^(٤).

كما تميز ستة من الصحابة عرفوا بكثرة الرواية ، وهم : أبو هريرة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعائشة وجابر وأنس وابن عباس ، وأبو هريرة أكثرهم حديثاً ^(٥).

ولم يكن هذا التوجيه النبوي لكتابة السنة من قبل أناس ، وحفظها في الصدور من قبل أناس آخرين عفويّاً ، إنما جاء نتيجة لمعرفته بإمكانات من حوله ورغباتهم.

فعبد الله بن عمرو بن العاص كان يجيد الكتابة ، فوجد في نفسه رغبة لكتابة الحديث ، وبدأ يكتب كل شيء يسمعه من النبي ﷺ ، فنهته قريش عن ذلك فأمسك عن الكتابة ، فذكر ذلك للرسول ﷺ فقال له : «اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق» ^(٦).

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن : ٨ / ٦٢٦ .

^(٢) - نفس المصدر : ٨ / ٦٢٦ .

^(٣) - أحمد : المسند : ٢ / ١٢ .

^(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب حفظ العلم : ١ / ٢٥٨ .

^(٥) - السيوطي: تدريب الراوي : ٣٨٠ .

^(٦) - أحمد : المسند : ٢ / ١٢ .

واستمر عبد الله في الكتابة، فأثمرت كتابته للحديث بصحيفة كان يعتز بها، وسمّاها الصادقة، وكان يقول: "إذا سلمت لي هذه وكتاب الله والوهط"^(١)، فما أبالي ما كانت عليه الدنيا"^(٢).

وكذلك شأن الحفظ، فحينما وجد النبي ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه راغباً في حفظ الحديث والتفرغ له، أقره على ملازمته، وبذل الحديث له، يقول أبو هريرة: "إن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق، وإن إخواننا الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشعب بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون"^(٣).

ومن رعاية النبي ﷺ له، أنه خصه بالدعاء حين شكاه له النسيان فقال: «ابسط رداءك»، فبسطه، قال فغرف بيده ثم قال: ضمه فضممته، فما نسيت شيئاً بعده"^(٤).

وهذه الحادثة تعكس مدى الرعاية النبوية للتلاميذ، وقوة العلاقة بين العالم والمتعلم، حيث ييث التلميذ لشيخه آلامه وآماله، وهذا هو الجو الصحي لنجاح العملية التعليمية.

إن قضية التخصص أفرزت لنا وبكل وضوح عناصر الحفظ لسنة النبي ﷺ، ففريق يحفظ في الصدور، وهذا جانب مهم جداً ينبغي ألا يتعطل. لأن الاتكال على الكتابة يؤدي إلى ضمور الذاكرة، وبالتالي قلة المحفوظ. والمسلم مطالب بحفظ القرآن الكريم تعبدًا، وكذلك السنن الماثورة التي

^(١) - المراد بالوهط: الحديقة.

^(٢) - الخطيب البغدادي: تقييد العلم: ٨٤.

^(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب حفظ العلم: ١ / ٢٥٨.

^(٤) - نفس المصدر: ١ / ٢٥٩.

يعايشها في نهاره وليله، وفي صباحه ومساءه وكل أحواله، والجانب الثاني وهو مكتوب في السطور، أجازته النبي ﷺ كما مر.

وبهذا التوجيه النبوي المدروس، حفظت السنة من الضياع بتوفير عنصري الحفظ لها، ولعل النبي ﷺ لم يغفل كذلك عن قضية الفتوى، فبدأ يهيئ أناساً من الصحابة لسد هذا الجانب، فأفرز هذا التوجيه جملة من الصحابة تخصصوا في الفتوى، منهم ابن عباس، وعمر بن الخطاب، وعلى ابن أبي طالب، وأبيّ، وزيد، وأبو الدرداء، وابن مسعود.^(١)

وجمع ابن حزم الظاهري فقهاء الصحابة، حيث بلغ عددهم اثنين وستين ومئة صحابي، منهم المكثرون والمتوسط والمقل.^(٢)

بل إن هناك تخصصات دقيقة أوكل النبي ﷺ أمرها إلى بعض أفراد الصحابة، فعلي رضي الله عنه تخصص في القضاء، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه بالحلال والحرام، وفي الفرائض زيد بن ثابت.^(٣)

ومن مسائل التخصص التي راعاها النبي ﷺ تعلم اللغات الأجنبية حيث أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت بتعلم السريانية، فتعلمها وكان يقرأ لرسول الله ﷺ ويرد عليهم إذا كتبوا.^(٤)

ولا شك أن هذا يؤكد مدى اهتمام النبي ﷺ بمعرفة أحوال الأمم حوله وتوفير وسائل التعامل معهم، وأول هذه الوسائل معرفة اللغة.

ولم يغفل النبي ﷺ أمر المعاملات وحقوق الناس، فكان عبد الله بن

(١) - السيوطي: تدريب الراوي: ٣٨٠.

(٢) - ابن حزم: جوامع السيرة: ٣١٩ - ٣٢٣.

(٣) - ابن ماجه: السنن - المقدمة - حديث رقم (١٥٤)، ١ / ٥٥.

(٤) - ابن سعد الطبقات: ١١٥ / ٢.

الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين الناس المداينات والعقود، وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص النخل.

وكان معيقب بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغانم رسول الله ﷺ. ^(١)

ويظهر أن النبي ﷺ أوكل إلى بعض الصحابة مهمة التعليم في بعض البلدان كما هو الحال بالنسبة لمعاذ بن جبل، حيث بعثه النبي ﷺ إلى اليمن بمعية أبي موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن والسنن. ^(٢)

أما رسله وسفراؤه الذين ينقلون كتبه إلى ملوك ذلك الزمان، فكانوا متخصصين كما هو حال دحية الكلبي رسوله إلى هرقل، وكان أحسن الناس وجهاً، فكان من المناسب أن يحمل تلك الرسالة إلى هرقل. ^(٣)

ومن المستحسن أن أشير إلى أن هناك تخصصات أخرى رعاها النبي ﷺ وأراد لها أن تنمو وتتكامل، فهذا ابن عباس رضي الله عنه يتخصص في تفسير القرآن وتأويله ليكون حبر الأمة، وحسان بن ثابت رضي الله عنه يتخصص في الشعر، وحذيفة بن اليمان بالفتن، ورفيدة أول طبيبة جراحية، وعلى بن أبي طالب بالقضاء، وفريق متخصص بالإحصاء.

فقد ثبت عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفاً وخمسمئة رجل، فقلنا نخاف ونحن ألفٌ وخمسمئة».

ويبدو أن مسألة الإحصاء كانت من الأمور المعروفة عند الصحابة فقد جاء

^(١) - الوزراء والكتاب: ١٢ - ١٣.

^(٢) - طبقات فقهاء اليمن: ١٨.

^(٣) - انظر: البخاري: الصحيح - كتاب بدء الوحي - باب (٦): ١ / ٤٢، مع شرحه فتح البخاري.

رجل إلى النبي ﷺ وقال له: كتبت في غزوة كذا وكذا.^(١)

إن قضية التخصص التي وضع أول لبناتها النبي ﷺ، هي الطريقة المثلى الكفيلة بتقدم الأمم في كل ناحية من نواحي الحياة العلمية والعملية على حد سواء، لأنها تستثمر طاقات الأمة من خلال استثمار طاقات أفرادها، وكل ذلك عن طريق التخصص.

وإذا كان عصر السيرة قد بدأ بوضع أسس التخصص في فروع المعرفة وغيرها، فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى تنمية فروع التخصص لتلبي حاجة الأمة في ظل الحياة المعقدة في عالم اليوم.

^(١) - انظر مواضع تلك التخصصات في المصادر التالية: البخاري، الصحيح، كتاب العلم - باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب. ١ / ٢٠٤. وكتاب الصلاة-باب الشعر في المسجد: ٦٥٢/١. والإصابة: ٣٠٢/٤ و ٥٠٧/٢، البخاري: الصحيح: كتاب الجهاد والسير-باب كتابة إمام الناس: ٢٠٦/٦ (حديث رقم: ٣٠٦٠) و (حديث رقم: ٣٠٦١).

المبحث الثالث

التعليم المجاني:

لقد سلك النبي ﷺ مسلكاً واضحاً منذ بداية الرسالة، وهذا المسلك يتمثل في إشاعة العلم للناس أجمعين، وجعله من قبيل الواجب، ويتمثل هذا الأمر في إحدى خطبه حين قال: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم، ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم، ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقهون، ولا يتعظون، والله ليعلمن قوم جيرانهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا»^(١).

فهذا التوجيه النبوي يشير وبوضوح إلى بذل العلم للناس، وبدون مقابل من مال أو عطاء بل وحتى الهدية.

يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه حين كان يعلم القرآن: "أهدى إلي رجل من المتعلمين قوساً، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إن أخذتها فخذ بها قوساً من نار»"^(٢).

إن هذه السياسة التي تكفل التعليم لجميع أفراد الأمة بدون مقابل، بل وتجعل إشاعة العلم من الواجبات المرعية، يقول أبو هريرة رضي الله عنه^(٣): "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان من كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا

(١) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ١ / ١٦٤.

(٢) - البيهقي: السنن: ٦ / ١٢٦.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب حفظ العلم: ١ / ٢٥٨.

بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْزَئِكَ أَنْتَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴿١﴾

إن التعليم المجاني الذي تتباهى به اليوم بعض الأمم والشعوب، إنما هو منهج سلفي قديم تعود جذوره إلى عهد السيرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وقد سارت الأمة الإسلامية لعقود طويلة على هذا المنهج حتى أصبح عرفاً سائداً في الأوساط العلمية.

ونص بعض الأئمة على عدم قبول رواية من أخذ على التحديث أجراً منهم الإمام أحمد ، وإسحاق بن راهوية ، وأبو حاتم الرازي .

وأفتى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بجوازها لمن امتنع عليه الكسب لعياله بسبب التحديث. (٢)

لقد يسر الإسلام التعليم للناس ، ورغبهم في أن يتعلموا مجاناً حتى لا يكون الفقر عقبة تحول بينهم وبين تحصيل العلم ، ولو لم يكن التعليم مجاناً لما وجدنا ذكراً لأبي هريرة رضي الله عنه لأنه كان فقيراً وغيره كثيرون من أهل الصفة وغيرهم .

بل الأيام أثبتت أن الفقراء والأيتام والمعدمين هم النوابع على الأغلب في شتى فروع المعرفة .

وتاريخنا يشهد لذلك فقد ساد الموالي بالعلم أمثال عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه ، وغيره ومن الأيتام أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري وغيره .

(١) - سورة البقرة، آية: ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) - السيوطي: تدريب الراوي: ٢٢٣ .

المبحث الرابع

كفالة المتعلمين:

لقد أشرت في المبحث السابق إلى أن الإسلام يسر التعليم للناس بالمجان أقول لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تكفل النبي ﷺ بإعاشة المتعلمين والإنفاق عليهم.

يتضح ذلك في عدد من المواقف والتصرفات التي ترسم معلماً واضحاً في هذه المسألة.

فالقراء كانوا يقرؤون ويتدارسون بالليل، وبالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحطبون فيبيعونه ويشتررون به الطعام لأهل الصفة والفقراء.^(١) وكثيراً ما كان النبي ﷺ يوزع أهل الصفة على المهاجرين والأنصار، وفي مرة من المرات قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وانطلق رسول الله ﷺ بنفسه بعشره»^(٢).

وكان عبادة بن الصامت يتكفل بثمانين من أهل الصفة يعيشهم.^(٣) ولم يكن هذا الإنفاق وهذه الكفالة منة أو مجاملة بقدر ما كان قياماً بالواجب، وكان النبي ﷺ ينمي هذا الإحساس عند الصحابة.

ففي إحدى المرات دخل رسول الله ﷺ ويده عصا، وقد علق رجل قنا حشفاً، فطعن بالعصا في ذلك القنو، وقال: «لو شاء رب هذه الصدقة تصدق

(١) - خليفة بن خياط: ٤٢.

(٢) - أحمد: المسند: ٣ / ٤٩٠.

(٣) - الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١ / ٢٠٠.

بأطيب منها»، وقال: «إن رب هذه الصدقة يأكل الحشف يوم القيامة»^(١).

بل إن النبي ﷺ أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين.^(٢)

ونتيجة لهذا التوجيه النبوي يبادر محمد بن مسلمة ويقترح بأن تفرق أضياف الإسلام في دور الأنصار، وأن يجعل في كل حائط قنو، وفعلاً فقد قام معاذ بن جبل بوضع جبل بين الساريتين ليجعل الإقناء على الجبل.^(٣)

ولم يكن من شأن الوافدين الذين يفدون على المدينة ليتعلموا العلم والإيمان بأقل عناية من أهل الصفة، فقد جاء وفد عبد القيس إلى المدينة وحلوا أضيافاً على أهلها.

ومن عناية النبي الكريم ورعايته لهم، أن سألهم عن أحوالهم بقوله: «كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم وضيافتهم إياكم؟ قالوا: خير إخوان، ألانوا فراشنا وأطابونا مطعمنا، وباتوا وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، فأعجب النبي ﷺ وفرح بها، ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً يعرضنا على ما تعلمنا وعلمنا»^(٤).

فهذا النص يبرهن وبوضوح عمق المسؤولية على حواضر العالم الإسلامي اليوم للقيام بدورها في رعاية الوافدين إليها من أهل الإسلام، ليتعلموا كما تعلم وفد عبد القيس وغيرهم من الوافدين في المدينة، ورجعوا إلى أهلهم ليؤدوا دورهم.

(١) - أبو داود: السنن - كتاب الزكاة - باب ما لا يجوز من الثمرة في الصدقة: ٤ / ٤٩٦.

(٢) - أبو داود: السنن - كتاب الزكاة - باب حقوق المال: ٥ / ٨٠.

(٣) - التراتيب الإدارية: ١ / ٤٧٥.

(٤) - الإمام أحمد: المسند: ٤ / ٢٠٦.

وقد شملت كفالة التعليم حتى العبيد، فهذا إبراهيم بن جابر - كان عبداً
لخراتشة الجعفي نزل إلى النبي ﷺ من حصن الطائف في جملة من نزل من عبيدهم
أيام حصارهم فأعتقه ودفعه إلى أُسَيْد بن حُضَيْر وأمره أن يمرنه ويعلمه. ^(١)

كما دفع النبي ﷺ الأزرق بن عقبة أبو عقبة الثقفي من عبيد كلدة إلى
خالد بن سعيد بن العاص ليمونه ويعلمه. ^(٢)

ومن رعاية النبي ﷺ لطلبة العلم، أنه كان إذا أتته صدقة بعثها إليهم ولم
يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها.
وكان عليه أفضل الصلاة والسلام يمر عليهم ويجالسهم ويعلمهم، بل
ويلاطفهم كما حدث لأبي هريرة رضي الله عنه عندما أهدى للنبي ﷺ قدحاً
من لبن، وكان أبو هريرة جائعاً ذلك اليوم، وقد حل ضيفاً على رسول
الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي، يقول أبو
هريرة: فسأني فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أنا أن
أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما
عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟

ولم يكن من طاعة رسول الله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا
فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم في البيت.

قال: يا أبا هريرة.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: خذ فأعطهم.

^(١) - ابن حجر: الإصابة: ١ / ٢٥ - ٢٦.

^(٢) - نفس المصدر: ١ / ٤٤.

قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد
القدح حتى انتهت إلى النبي ﷺ، وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح
فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسم وقال: يا أبا هر.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: بقيت أنا وأنت.

قلت: صدقت يا رسول الله.

قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت، فما زال
يقول اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكاً.

قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة.^(١)

هذه بعض الإشارات التي تدل على كفالة المتعلمين والإحسان إليهم
والرفق بهم في عصر السيرة، فما أحوجنا اليوم إلى مزيد من رعاية طلاب
العلم والمعرفة ليتفرغوا لتحصيل العلوم والمعارف للنهوض بأممتهم نحو
التقدم والازدهار.

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب الرقاق - باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه
وعزوفهم عن الدنيا: ١١ / ٢٨٦.

المبحث الخامس

تعليم النساء:

لم يكن الإسلام ليدعَ أمر المرأة على ما كانت عليه في الجاهلية، خاضعة لتصورات ذلك المجتمع الذي يجعل المرأة مصدراً للعار والمهانة وسوء السمعة. وما عبر عنه القرآن الكريم عن تلك الحالة لهو أصدق وصف حينما قال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾^(١).
لقد جاء الإسلام ليني حضارة، ولا يمكن أن تبنى حضارة بجناح واحد كحال الطائر الذي لا يطير إلا بجناحين.

ولذلك صحح الإسلام ذلك المفهوم، وتلك التصورات حينما جعل الميزان هو التقوى والعمل الصالح لا غير، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾^(٢).

وعلى هذا الأساس بدأ النبي ﷺ يرسم منهاجاً واضحاً للارتقاء بنصف المجتمع الذي هدرته الجاهلية، فبدأ يوصي بالمرأة فقال: «استوصوا بالنساء خيراً»^(٣).

(١) - سورة النحل، آية: ٥٨ - ٥٩.

(٢) - سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب النكاح - باب الوصاة بالنساء: ٩ / ١٦١.

وقال: «لا يَفْرَكُ مؤمن مؤمنة»^(١)، وقال: «خياركم خياركم لنسائه»^(٢).

ومن باب آخر جعلها عنصراً فاعلاً في المجتمع، حينما حملها المسؤولية، شأنها في ذلك شأن الرجل حينما وزع المسؤولية على دوائر المجتمع بقوله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راعٍ والرجل راعٍ على أهل بيته والمرأة راعية في بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٣).

وهذه المسؤولية تحتاج إلى علم ومعرفة إضافة إلى التكاليف الشرعية الأخرى فخطاب الله عز وجل وأوامر رسوله ﷺ موجهة إلى الرجل والمرأة على حد سواء.

ولقيام المرأة بتلك المسؤولية لابد أن تأخذ نصيبها من التعليم ففتح النبي الكريم ﷺ طرق التعليم ومهد لها السبل لتحصيله.

فبدأت المرأة تتراد المساجد لأداء الصلاة وسماع المواعظ والخطب بأمر النبي ﷺ حين قال: «إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها»^(٤).

وقوله: «إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن»^(٥).

وقال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»^(٦).

ومن المعلوم أن المساجد لم تكن للصلاة فقط وإنما كانت مصدراً لتلقي

(١) - مسلم: الصحيح - كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء: حديث رقم (٦٣).

(٢) - الترمذي: السنن - كتاب النكاح - باب ما جاء في حق المرأة على زوجها: ٤ / ٣٢٥.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب النكاح - باب قوا أنفسكم وأهليكم نارا: ٩ / ٢٥٤.

(٤) - نفس المصدر - باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد.

(٥) - البخاري: الصحيح - كتاب الصلاة - باب خرج النساء إلى المساجد.

(٦) - البخاري: الصحيح - كتاب الجمعة - باب (٣): ٢ / ٤٤٤.

العلوم والمعارف وكان النبي ﷺ المصدر لذلك الإشعاع.

ولم يتوقف الأمر عند المساجد فقط ، وإنما أمر النساء العواتق وذوات الخدور حتى الحيض منهن ليشهدن الخير ودعوة المسلمين ، وذلك يوم العيد. ^(١)

وكان يخصصهن بالموعظة والتذكير ، ويأمرهن بالصدقة. ^(٢)

ويحكي ابن عباس رضي الله عنه فيقول : فصلى ثم خطب فأتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة ، فرأيتن يسهوين بأيديهن يقذفنه في ثوب بلال ، ثم انطلق هو و بلال إلى بيته ^(٣).

وهذه الصورة تدل وبدون شك على التحول الكبير في المجتمع وعلى مدى الإيجابية التي بلغت المرأة ، كل ذلك بسبب اكتساب العلم وسماع المواعظ .

وسأل ابن جريح عطاء قال "قلت : أترى حقاً على الإمام ذلك ويذكرهن؟ قال إنه لحق عليهم ، ومالهم لا يفعلونه؟" ^(٤)

وعنون الإمام البخاري رحمه الله باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف ^(٥).

فكان لهذه المشاركة أثرها في التحصيل والسماع وتحمل العلم.

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العيدين - باب خروج النساء والحيض إلى المصلى: ٥٣٧/٢ .

^(٢) - نفس المصدر - باب خروج الصبيان إلى المصلى: ٥٣٨ / ٢ .

^(٣) - نفس المصدر - باب العلم الذي بالمصلى: ٥٣٩ / ٢ .

^(٤) - نفس المصدر - باب موعظة الإمام النساء يوم العيد: ٤٥١ / ٢ .

^(٥) - البخاري: كتاب الكسوف: ٦٣١ / ٢ .

ولم يتوقف الأمر عند المناسبات العامة وحضور الجمع والجماعات وسماع الوعظ، بل جعل النبي ﷺ لهن يوماً خاصاً بهن، وكان ذلك تلبية لطلبهن كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن" ^(١).

ويبدو أن هذا الدرس استمر حتى وفاته ﷺ، لأنه كان إذا بدأ بعمل داوم عليه، ولم تشر المصادر هل كان هذا كل شهر أم كل أسبوع، والذي يبدو لي أنه كل أسبوع والله أعلم.

وهذا تحول آخر فبعدما ذقت النساء طعم العلم، وأدركن منفعته، بدأت المنافسة مع الرجال والمطالبة بالمزيد، بل ودروس تخصصية، وقد تم لهن ذلك. وقد أفرز هذا النشاط العلمي في محيط النساء، مهارة أخرى، ألا وهي مهارة الحوار والمناقشة، فهذه عائشة أم المؤمنين لا تسمع شيئاً من النبي ﷺ لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، يشهد لها بذلك ابن أبي مليكة أحد التابعين ^(٢).

وقد ترجم الإمام البخاري رحمه الله تعالى لذلك باباً بعنوان "من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، واستدل بقول النبي ﷺ: «من حوسب عذب».

قالت عائشة: فقلت: "أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾" قالت فقال: «إنما ذلك العرض، لكن من نوقش الحساب يهلك» ^(٣).

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب هل يجعل للنساء يوماً على حده: ١ / ٢٣٦.

^(٢) - البخاري: الصحيح: ١ / ٢٣٧.

^(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه: ١ / ٢٣٧.

يقول الحافظ ابن حجر^(١): "وفي الحديث ما كان عند عائشة من الحرص على تفهم معاني الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم، وفيه جواز المناظرة ومقابلة السنة بالكتاب".

وقد وقع مثل ذلك لحفصة أم المؤمنين في مراجعة النبي ﷺ^(٢)، إن هذا الجو الصحي الذي هيئه النبي ﷺ للمرأة كي تأخذ حظها من العلم كان كفيلاً بأن تصدر الكثير من النساء في مجالات متنوعة من العلوم والمعارف، فهذه عائشة رضي الله عنها هي الرابعة من بين الرجال المكثرين من حديث النبي ﷺ، حيث روت ألفين ومئتين وعشرة أحاديث.^(٣)

بل وعدت سابعة سبعة من الصحابة هم الأكثر فتوى على الإطلاق، ولسعة علمها ونبوغها استدركت على بعض الصحابة في الرواية والفتوى.^(٤)

وقد تعرضت بالنقد في بعض الأحيان لطريقة الأداء العلمي، كما حصل في نقدها لأبي هريرة رضي الله عنه في سرعة أدائه للحديث، وقولها: "كان رسول الله ﷺ ليحدث الحديث لو شاء العاد أن يحصيه لأحصاه."^(٥)

هذا ولم يكن الصحابة ليجدوا أدنى حرج في قبول النقد، وكانوا يعتبرونه نصحاً في الدين، ولذلك قبلوه وبنوا عليه رضي الله عنهم.

ولقد بثت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عملها مقروناً بالتثبت والفهم

(١) - فتح الباري: ١ / ٢٣٨.

(٢) - نفس المصدر: ١ / ٢٣٨.

(٣) - تدريب الراوي: ص: ٣٨٠.

(٤) - ألف الزركشي كتاباً جديداً في بيان ما رويته عن عائشة رضي الله عنها.

والرعاية التامة لمن تعلمه، فهذه عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية النجارية
 المدنية الفقيهة، تربية عائشة وتلميذتها كما يصفها الإمام الذهبي رحمه الله.^(١)
 وهذا الإمام الزهري يسأل القاسم بن محمد عن عالم يدلّه عليه، فقال له "
 يا غلام، أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه ؟
 قلت: بلى.

قال عليك بعمره، فإنها كانت في حجرة عائشة.

قال: فأتيته فوجدتها بحرّاً لا يتزف.^(٢)

وغير عمرة كثيرات تتلمذن وتحملن الرواية والفقّه والفهم عن أم المؤمنين
 رضي الله عنها، وقد حظيت نساء أخريات بالنبوغ كذلك، فمن أمهات المؤمنين
 حفصة بنت عمر بن الخطاب، لها رواية عن النبي ﷺ، وتحمل عنها أخوها عبد
 الله، وجمع من الصحابة والتابعين.^(٣)

وميمونة بنت الحارث أيضاً، صاحبة الرواية والمواعظ.^(٤)

وزينب بنت جحش كذلك، لها رواية، وكانت أطول أمهات المؤمنين يداً في
 الصدقة.^(٥)

وسودة بنت زمعة، لها رواية وقد أثنت عليها أم المؤمنين عائشة

(١) - سير أعلام النبلاء: ٤ / ٥٠٧.

(٢) - الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٥٠٨.

(٣) - ابن حجر: الإصابة: ٤ / ٢٧٣.

(٤) - ابن حجر: الإصابة: ٤ / ٤١١ - ٤١٢.

(٥) - ابن حجر: الإصابة: ٤ / ٣١٣.

رضي الله عنها.^(١)

ورملة بنت أبي سفيان، روت أحاديث كثيرة، ولها أداء معروف.^(٢)
ولا تقل أم سلمة عن أخواتها أمهات المؤمنين رواية ودراية وفهماً للأمور
العظام، وكانت أهلاً لأن تستشار، فقد استشارها رسول الله ﷺ حينما
تباطأ أصحابه في تنفيذ أمره لهم بالخلق والتقصير وذبح الهدي بعدما
أمضى الصلح مع قريش، فكان رأيها أن يبدأ بنفسه أولاً. فأخذ عليه
أفضل الصلاة والسلام برأيها، فخلق وذبح، فعندما رآه الصحابة رضوان
الله عنهم، تدافعوا وصنعوا مثلما صنع.^(٣)

وكانت رضي الله عنها موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ والرأي
الصائب، وما يدل على وفور عقلها وصواب رأيها حادث صلح الحديبية.^(٤)
إن هذا الموقف وغيره من المواقف لأمهات المؤمنين، لا يمكن أن يأتي
من فراغ، بل سبقه تعلم واكتساب معرفة وتربية على يد النبي ﷺ وهديه،
ولقد برعت أم سلمة رضي الله عنها في استنباط قاعدة مهمة من قواعد
التربية، ألا وهي قاعدة القدوة وأثرها في الاتباع، فرضي الله عن الجميع.
وصفية بنت حُيي بن أخطب أم المؤمنين، لا تُنسى في هذا الصدد، فإن
لها رواية، وتحمل الناس الحديث عنها.^(٥)

هذا هو بيت النبوة، وهاهن أمهات المؤمنين، زوجات خاتم المرسلين

(١) - ابن حجر: الإصابة: ٤ / ٣٣٨.

(٢) - ابن حجر: الإصابة: ٤ / ٣٠٧.

(٣) - إتحاف الوري بأخبار أم القرى: ١ / ٤٦٩.

(٤) - ابن حجر: الإصابة: ٤ / ٤٥٩.

(٥) - ابن حجر: الإصابة: ٤ / ٣٤٨ - ٣٤٩.

عالمات فقيهاً مربيات زاهدات، يصدر عنهن كل خير ومعروف، فليت زوجات الذوات يصدر عنهن مثلما صدر عن أمهات المؤمنين ليقْتدى بهن في تحمل العلم وأدائه.

هذا ولم يقتصر الأمر على أمهات المؤمنين، فغير أمهات المؤمنين نساء كثيرات برعن، بل وساهمن في النشاط العلمي في عصر النبوة، فهذه الشفاء التي قال لها رسول الله ﷺ علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة.^(١) ولا بد من الإشارة إلى واحدة من الفاضلات، ألا وهي أم الدرداء رضي الله عنها، والتي يصفها الذهبي بالعالملة الفقيهة، روت علماً جماً عن زوجها أبي الدرداء، وعرضت القرآن وهي صغيرة عليه، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد، وروى عنها الكثير من الرجال، وبلغ أمرها أنها كانت تصدر لتعليم القرآن حيث تجلس في حلقِ القراء.^(٢)

وقد كانت زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حريصة على السؤال، فقد سألت زوجها عن الصدقة فوجهها إلى رسول الله ﷺ فانطلقت إليه وإذا بامرأة من الأنصار على بابها سؤال زينب، فخرج بلال فأخبره بالسؤال، وطلبتا عدم ذكر أسمائهن، لكن النبي ﷺ المعلم سألته فقال له: امرأة من الأنصار وزينب، قال: أي الزينب هي؟ فذكر له أنها امرأة عبد الله بن مسعود، وأجابهن.^(٣)

ولعل أسماء بنت السكون بن يزيد الأنصارية لا تقل حرصاً، فهي من ذوات العقل والدين، وقد روت عن النبي ﷺ، ولها قصة تدل على وفور

^(١) - ابن حجر: الإصابة: ٤ / ٣٤١ - ٣٤٢.

^(٢) - الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٧٧ - ٢٧٨.

^(٣) - مسلم: كتاب الزكاة - باب الزكاة على الزوج والأيتام: حديث (٥٠).

عقلها وحسن أدبها ، ذلك أنها أتت رسول الله ﷺ فقالت إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنّا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال ، وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وريينا أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ، فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: هل سمعتم مقاله امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟

فقالوا: بلى والله يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ: انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لأوامره يعدل كل ما ذكرت للرجال ، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قاله رسول الله ﷺ .^(١)

ومن هذه القصة ندرك أن المرأة في عصر السيرة أصبح لها شأن ، فهي تريد أن تعرف موقعها في الحياة ، وقد أدركت أن لها دوراً يجب أن تؤديه وغاية تسعى لبلوغها ، وكل ذلك لم يكن ليحصل لولا الرعاية النبوية والتعليم المتدرج الذي بوأها مكانة رفيعة أسهمت في الحياة العلمية ، بل وأثرت فيها باجتهاد ، واستدراك كما كان من عائشة رضي الله عنها ، فهي راوية ضابطة لما تحكيه وترويه ، وفقية تحسن فن الاستنباط ، وناقدة فذة تعرف أصول النقد وحدوده .

وصور أخرى مر ذكرها ، إنما هي مرآة تري كيف رعى الإسلام المرأة في

(١) - ابن عبد البر: الاستيعاب: ٤ / ٢٣٧ - ٢٣٨ .

عصر السيرة، تلك المرأة التي وجدت من يهتم بأمرها، ويضع البرامج لتعليمها وتربيتها لتكون عنصراً فعالاً في البناء والتنمية، وقد حصل كل ذلك على يد محمد ﷺ.

وما أحوجنا اليوم إلى مراجعةٍ شاملة لقضية المرأة، لتعود كما كانت عنصراً فعالاً يصدر عنها كل خير وفضيلة.

المبحث السادس

تعليم الأطفال:

لم يكن الأطفال بمعزل عن الرعاية والتربية والتعليم في عهد النبي ﷺ وذلك لأن الطفل لا يبقى طفلاً، بل يصبح رجلاً، وقد أثبتت الدراسات التربوية الحديثة أن التعلم بالصغر أمضى وأكثر أثراً من التعلم عند الكبر والمقولة: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر - صحيحة من حيث الواقع.

لقد حظي الأطفال كدائرة من دوائر المجتمع بالتعلم والرعاية والتوجيه على يد النبي ﷺ بصور شتى، وقبل البدء أود الإشارة إلى بعض توجيهاته ﷺ بالوصية بالنشء تعليماً وتربية وتوجيهاً، فمن ذلك قوله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١).

وقوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها... الحديث»^(٢).

وفي الحديث قوله: «ورجل كانت عنده أمة فأدبها، فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران»^(٣).

أما عن خطته ﷺ في تعليم الصغار، فبحسب الظروف والأحوال، وكثيراً ما كان يمهّد لقضية التعليم بالمداواة، وهذا أمر مطلوب لترغيب الأطفال في

^(١) - أحمد: المسند: ٢ / ١٨.

^(٢) - البخاري: كتاب النكاح - باب قوله تعالى: "قوا أنفسكم وأهليكم ناراً": ٩ / ٢٥٤.

^(٣) - البخاري: كتاب العلم - باب تعليم الرجل أمته وأهله: ١ / ٢٢٩.

العلم، حتى لا ينفروا منه، فمن ذلك قول أنس رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟" (١) وهذه أم خالد بنت خالد بن سعيد، تحكي قصة مجيئها إلى النبي ﷺ وهي صبية صغيرة، وكانت عليها ملابس جديدة، فأخذت تلعب بخاتم النبوة، فزبرها أبوها، فقال له النبي ﷺ: «دعها ثم دعا لها» وعنون الإمام البخاري لذلك باباً فقال "باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به، أو قبلها أو مازحها" (٢).

وكثيراً ما كان النبي ﷺ، يقبل الأولاد ويشمهم، وقد فعل هذا مع إبراهيم ولده عليه أفضل الصلاة والسلام. (٣)

وتحكي عائشة رضي الله عنها صورة من صور رعاية النبي ﷺ فتقول: «وضع صبي في حجره يحنكه فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه» (٤).

قال الحافظ ابن حجر: "ويستفاد منه الرفق بالأطفال، والصبر على ما يحدث منهم، وعدم مؤاخذتهم لعدم تكليفهم." (٥)

وقد وضع الحسن والحسين على فخذه ودعا لهما (٦)، ومرة على عاتقه. (٧)

وقد عانق الحسن رضي الله عنه، وصعد به المنبر والناس ينظرون إليه في

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب الأدب - باب الانبساط للناس: ١٠ / ٥٤٣.

(٢) - نفس المصدر - باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به: ١٠ / ٤٣٩.

(٣) - نفس المصدر - باب رحمة الولد وتقبيله: ١٠ / ٤٢٠.

(٤) - نفس المصدر - باب وضع الصبي في الحجر: ١٠ / ٤٤٨.

(٥) - فتح الباري: ١٠ / ٤٤٨.

(٦) - نفس المصدر - باب وضع الصبي على الفخذ: ١٠ / ٤٤٨.

(٧) - البخاري: كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب الحسن والحسين: ٧ / ١٩٩.

المسجد ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(١).

إن هذه المداراة ليست للتسلية أو الترويح فقط، وإنما هي ترسيخ لوشيجة المحبة والرابطة بين الناشئ الصغير وبين من يعلمه ويربيه.

لقد كان لتعليم النبي ﷺ لكثير من الصبية أثره في الحياة العلمية، على أن النبي ﷺ كان يركز على الفطن اللقن أكثر من غيره، كما هو حال ابن عباس رضي الله عنه، فعندما لمح النبي ﷺ فيه فطنة وذكاء، حرص على تعليمه وتربيته وخصه بمزيد من العلم.

وفطنة ابن عباس رضي الله عنه كانت مبكرة حالة صباه، فنراه يحكي عن نفسه فيقول: " دخل النبي ﷺ الخلاء، فوضعت له وضوءاً فقال من صنع هذا، فأخبر فقال اللهم فقهه في الدين "^(٢).

ومناسبة الدعاء هنا لابن عباس بالتفقه على وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور: إما أن يدخل إليه بالماء في الخلاء، أو يضعه على الباب ليتناوله عن قرب، أو لا يفعل شيئاً.

فرأى رضي الله عنه الثاني أوفق، لأن الأول تعرض للاطلاع، والثالث يستدعي مشقة في طلب الماء، والثاني أسهلها. ففعله يدل على ذكائه فناسب أن يدعى له بالتفقه في الدين ليحصل به النفع، وكذا كان.^(٣)

إن استثمار طاقات الأطفال والانتباه إلى أفعالهم، لجدير بالرعاية والتنمية

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب الحسن.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الوضوء - باب وضع الماء عند الخلاء: ١ / ٢٩٤.

(٣) - ابن حجر: فتح الباري: ١ / ١٤٤.

والتشجيع، ليعم النفع ويحصل الخير كما كان من شأن ابن عباس رضي الله عنه حيث أصبح حبر الأمة بفضل رعاية النبي ﷺ له، فكم من طاقات كثير من الأطفال تهدر ولا يلتفت إليها أحد، فتموت في مهدها وذلك الظلم بعينه. وحادثة أخرى ترسخ القناعة بفهم ابن عباس المبكر يقول: "بت عند خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام عندها في ليلتها، فصلى النبي ﷺ العشاء، ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات ثم نام، ثم قام وقال: نام الغليم - أو كلمة تشبهها - ثم قام فقامت عن يساره فجعلني عن يمينه . . . الحديث" (١).

وذلك تعليم منه ﷺ ورعاية له، ولعل مجيئه أيام منى راكباً على حمار أتان ومروره بين يدي بعض الصف ودخوله في الصلاة (٢)، دلالة أخرى على قوة فهمه ورسوخ علمه.

إن هذه الفطنة، وهذا الفهم وجد اهتماماً بالغاً من النبي المعلم ﷺ، فلم يدع فرصة إلا ولقنه علماً، وألقى إليه فهماً.

يقول ابن عباس رضي الله عنه وهو يحكي حاله أيام الصبا ووقت تحمل العلم وتحصيله: "كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت الله وإذا استعنت بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»" (٣).

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب المسر في العلم: ١ / ٢٥٦.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب متى يصح سماع الصغير: ١ / ٢٥٥.

(٣) - الترمذي: السنن - كتاب صفة القيامة - باب (٢٢): ٧ / ٢١٩.

وهذا سمرة بن جندب رضي الله عنه يحدثنا عن تحصيله فيقول: " كنت غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن هناك رجالاً أسن مني وقد صليت وراء رسول الله ﷺ على امرأة ماتت في نفاسها، فقام رسول الله ﷺ في الصلاة وسطها" (١).

ولم يكن تعليمه عليه الصلاة والسلام التلقين فقط، بل تربيتهم وتصحيح أخطائهم من خلال المعاشة اليومية، فهذا الحسن بن علي رضي الله عنه يضع ثمرة من تمرات الصدقة في فيه، فيقول له النبي ﷺ: «كخ، كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة» (٢).

وقصة عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ، يحكي صورة أخرى من صور التعليم العملي فيقول: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك وكل مما يليك» "فما زالت تلك طعمتي بعد" (٣).

لقد وعى الأطفال التوجيه وأتقنوا الرواية، لأن المعلم بارع عليه أفضل الصلاة والسلام، وقبل ذلك كله، عملوا بما تحملوه من علم الرواية، ولم يكن صغر السن ليحول بينهم وبين الحفظ والإتقان، فهذا محمود بن الربيع يقول: "عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو" (٤).

قال الحافظ ابن حجر: "وفي الحديث جواز إحضار الصبيان مجالس

(١) - مسلم: الصحيح - كتاب الجنائز - باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه: ٦٦٤ / ٢.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الزكاة - باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ: ١٨٣ / ٦.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب الأطعمة - باب التسمية على الطعام، والأكل

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب متى يصح سماع الصغير: ٢٠٧ / ١.

الحديث ، وزيارة الإمام أصحابه في دورهم ، ومداعبته صبيانهم " وكثيراً ما كان النبي ﷺ يهين للأطفال الجو الكفيل بتكون شخصيتهم .

فمرة أتى بشارب ، فشرب منه النبي ﷺ ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال له النبي ﷺ : «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟
فقال الغلام : لا والله ، لا أؤثر بنصيبي منك أحداً ، فقله رسول الله ﷺ في يده»^(١) .

إن هذا الأسلوب في تلك الصور هو الذي يصنع رجال الغد وعلماء المستقبل . فتأمل كم تنتفع الأمة بهذا المنهج النبوي ؟

ولا ننسى أن نشير إلى الصحابي الجليل أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ ، والذي تتلمذ على يديه ، فاغترف علماً غزيراً وأدباً جمّاً ، فأصبح من المكثرين لرواية الحديث ، وقد قدم على النبي ﷺ وهو في سن العاشرة وخرج معه إلى غزوة بدر يخدمه^(٢) .

لقد حظي كل من عاشر النبي ﷺ بكرمه وتعليمه ، فخادمه الذي يخدمه ، يصبح من المكثرين عنه في رواية الحديث ، فذاك أبي وأمي يا رسول الله .

ولعل حالة أنس وغيره توقظ فينا الغيرة للاهتمام بمن نعول من الأولاد والأيتام والخدم ، فربما يعيش الخادم في بيت يخدم فيه طول عمره من غير أن يتعلم ما يحسن به أداء فرض الصلاة ، وهذا تقصير كبير ، والله إنها لمسؤولية جد خطيرة .

^(١) - البخاري : الصحيح - كتاب الأشربة - باب هل يستأذن الرجل عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر : ١٠ / ٨٦ .

^(٢) - ابن حجر : الإصابة : ١ / ٨٤ .

إن من يتبع أحول الغلمان والصبية في عصر السيرة يجد عجباً، فهذا عمرو بن سلمة، يحكي قصة إسلام قومه وصلاته بهم إماماً حيث يقول: "فنظروا فلم يكن أكثر قرآناً مني، لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا أمت قارئكم، فاشتروا فقطعوا لي قميصاً، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص"^(١).

وقد ترجم له الذهبي^(٢) فقال: كان يؤم قومه في حياة النبي ﷺ وهو صبي، ومن بركة صلاة هذا الصبي، خاض العلماء وأصحاب المذاهب في صحة صلاة الصبي غير المميز، وقد صدرت آراؤهم عن تلك القصة والتي بطلها عمرو بن سلمة، صاحب السنوات الست أو السبع.

فما أحرانا اليوم أن نسلك ذلك السلوك الذي سلكه نبينا محمد ﷺ في تعليم الأطفال، وتربيتهم لينهلوا مما نهل منه أولئك.

بدل هذا الغناء الذي يهدم الأخلاق والقيم، ولا يصدر عنه إلا كل سوء لقد آن الأوان لإعادة ترتيب الأولويات، وأن نضع مقالة أم الدرداء العالمة الفقيهة، نصب أعيننا عندما خاطبت تلاميذها قائلة: "يا أبنائي تعلموا العلم صغراً واعملوا به كباراً"^(٣).

إن النظرة إلى الصغار يجب أن تتغير، وقد حان الوقت لأن نتعامل مع الطفل تعاملاً ينمي فيه الخير، ويهيج في نفسه الشره لطلب العلم والمنافسة فيه.

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب المغازي - باب ٥٣: ٧ / ٦١٦.

(٢) - سير أعلام النبلاء: ٣ / ٥٢٣.

(٣) - الذهبي: السير: ٤ / ٢٢٨.

وما يدرينا، فلعل الله عز وجل يجري الخير على أيديهم، وفي قصة الغلام التي أشاد بها القرآن الكريم في سورة البروج، وقصها النبي ﷺ على أصحابه^(١)، لخير مثال على ذلك، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

لقد ظلت الأمة الإسلامية قرونًا طويلة تأخذ بمنهج صدر الإسلام في أمر التربية والتعليم، وعلى وجه الخصوص الاعتناء بالصبيّة، وكتائب تحفيظ القرآن، وحلقات المربين خير شاهد على ذلك.

فما أحوج الأمة اليوم لإحياء هذه السنة، ليرضع أبناءنا العلم منذ الصغر، ويتربوا على القيم، وفي ذلك صيانة لأنفسهم ونفع لأمتهم.

^(١)-مسلم: الصحيح - كتاب الزهد والرفائق - باب قصة أصحاب الأخدود والساحر

والراهب والغلام: ٤ / ٢٢٩٩.

المبحث السابع

البعثات الخارجية:

لم يغفل النبي ﷺ عن إشاعة العلم وتبليغه إلى الأمصار المجاورة، فقد عمد ومنذ وقت مبكر في إرسال البعثات والمعلمين إلى القرى والبلاد المتاخمة للمدينة المنورة.

وأول معلم بعثه النبي ﷺ إلى المدينة هو مصعب بن عمير، وذلك ليعلم الناس^(١)، ثم بعث بعده ابن أم مكتوم، يقول البراء: "أول من قدم علينا مصعب بن عمير، ثم أتانا عمرو بن أم مكتوم، فجعلنا يقرأان الناس القرآن".^(٢)

ومن المدينة بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، وخرج ﷺ يودعه ويوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري» فبكى معاذ جزعاً لفراق الرسول ﷺ، قال «لا تبك يا معاذ»^(٣).

وربما كان يرافقه أبو موسى الأشعري ووصية النبي ﷺ لهما معروفة وهي: «يسرا ولا تعسرا علما ولا تنفرا»^(٤).

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب مناقب الأنصار - باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه: ٧ /

٣٠٥، والذهبي: السير: ١ / ١٤٥.

(٢) - ابن سعد: الطبقات: ٤ / ١٥١.

(٣) - أحمد: المسند: ٥ / ٢٣٥.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب المغازي - باب بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ إلى

اليمن قبل حجة الوداع: ٧ / ٦٥٧، ومسلم: حديث رقم (١٧٣٣).

وتشير رواية إلى أن النبي ﷺ بعث ثلاثة آخرين معها وهم: خالد بن الوليد، وطاهر بن أهالة، وعكاشة بن ثور^(١)، كما ويبدو أن النبي ﷺ كلف معاذاً بأداء العلم في أكثر من مصر، فقد استخلفه بعد فتح مكة على أهلها يقرئهم ويفقههم^(٢).

وهذا التكليف المستمر من النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه يدل على تمكن معاذ من العلم وبراعته في الأداء كذلك.

واستمر معاذ على هذا طيلة عمره، فقد كان عمر رضي الله عنه يقول حينما خرج معاذ إلى الشام: لقد أخل خروجي بالمدينة وأهلها في الفقه وفيما كان يفتيهم فيه، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسني لحاجة الناس إليه فأبى عليّ وقال: "رجل أراد وجهاً - يعني الشهادة - فلا أحبسه"^(٣).

وكان من سياسة عمر رضي الله عنه وفقهه أن يحتفظ بأهل الرأي في عاصمة الإسلام المدينة المنورة لمشاورتهم في أمور الدولة، والأقضية وغيرها من السياسات، وهذا صواب منه رضي الله عنه.

ومن الذين أوفدهم النبي ﷺ إلى اليمن: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال بريدة: "بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب"^(٤).

كما بعث عمرو بن العاص إلى البحرين كذلك^(٥).

(١) - الذهبي: السير: ١ / ٤٤٩.

(٢) - ابن سعد: الطبقات: ٥ / ٣٣٠.

(٣) - الذهبي: السير: ١ / ٤٥٢.

(٤) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩ / ١٢٧.

(٥) - نفس المصدر: ٩ / ٣٥٤.

وأحياناً يستجيب النبي ﷺ لرغبات بعض الأمصار، فيمدّهم بمن يعلمهم ويفقههم، وقد بعث مرة ستة من أصحابه إلى عضل والقارة بناءً على طلب أهلها، وقصّتهم معروفة^(١).

وفي بعض الأحيان يحصل العكس، حيث يفد الناس إلى المدينة ليتحملوا العلم ويرجعوا إلى بلدانهم كما حصل لوفد عبد قيس، حين حملوا العلم والإيمان ورجعوا به إلى قومهم^(٢).

لقد بقيت سنة البعوث من حواضر الإسلام، إلى النواحي والأطراف حية في الأمة، أخذ بها اللاحق عن السابق، فقد بعث عمر بن الخطاب بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى أهل الكوفة ليعلّمهم ويفقههم، وقال مقولته المشهورة: "يا أهل العراق، لقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه على نفسي، فخذوا منه"^(٣).

واستمر الأمر على ذلك لقرون، وتاريخ الأمة الطويل يشهد بسنة البعوث من حواضر الإسلام إلى النواحي والأطراف، إن هذا الإدراك المبكر من النبي ﷺ، والمضي في تنفيذه ليضع المسلمين اليوم أمام مسؤولية عظيمة تجاه أقطار كثيرة، كانت بالأمس تحيا في ظل الإسلام واليوم ترجح كفة النصرانية في الكثير منها بفعل المبشرين.

إن إحياء هذه السنة، وبعث البعوث من العلماء والفقهاء والمقتردين لكفيلٌ بإذن الله تعالى بإعادة تلك البلاد إلى حظيرة الإسلام من جديد.

(١) - ابن حجر: فتح الباري: ٧ / ٤٣٩.

(٢) - البخاري: كتاب الإيمان - باب أداء الخمس من الإيمان: ١ / ١٥٧.

(٣) - الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١ / ٤٩١.

المبحث الثامن

إرسال الكتب والرسائل:

الكتاب من وسائل أداء العلم وتبليغه ، كما أنه في نفس الوقت وسيلة من وسائل التحمل ، ولقد باشر النبي محمد ﷺ إرسال الرسائل والكتب إلى ملوك الأرض في ذلك الزمان يبلغهم رسالة الإسلام .

فقد كتب إلى قيصر عظيم الروم رسالة أرسلها مع دحية الكلبي فسلمها لهرقل في بيت المقدس ، وكاد يسلم من أثر تلك الرسالة .
أما نص الرسالة فهو :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك أثم الأريسيين ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَمْ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١) .

ويحكي أبو سفيان وهو شاهد عيان ، وقد كان آنذاك في الشام ، وحضر مجلس هرقل عندما قرئت عليه رسالة النبي ﷺ ، ورأى تأثير هرقل بتلك الرسالة ، يقول أبو سفيان : " إن أول يوم رعبت فيه من محمد ﷺ ليوم قال قيصر في ملكه وسلطانه وحضرته ما قال ، وهو يعني قوله : " لو أعلم أنني

^(١) - البخاري : الصحيح - كتاب بدء الوحي - باب (٧) : ١ / ٤٣ .

أستطيع الخلوص إليه ، لمشيت إليه حتى أقبل رأسه وأغسل عن قدميه " . قال أبو سفيان : " ولا زلت مرعوباً من محمد ﷺ حتى أسلمت " ^(١) .

وعن مرثد بن ضبيان قال : " جاءنا كتاب رسول الله ﷺ ، فما وجدنا قارئاً يقرؤه علينا ، حتى قرأه رجل من بني ضبيعة " : " من رسول الله إلى بكر بن وائل : أسلموا تسلموا " ^(٢) .

وكتب رسول الله ﷺ قبل أن يموت إلى كسرى وقيصر وكل جبار . ^(٣)
ومن كتبه المهمة إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي ، فلما قرأه كسرى مزقه ، فدعا عليه النبي ﷺ أن يمزق كل ممزق ، وقد حدث ذلك . ^(٤)
وقد كتب إلى أسقف الروم كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام . ^(٥)

وكتب النبي ﷺ إلى النجاشي بأكثر من كتاب ، وجرت بينه وبين نبينا محمد ﷺ كتب ومراسلات أسلم على إثرها النجاشي . ^(٦)
وكتب إلى أسقف إيله وأهلها كذلك بكتاب ^(٧) ، وإلى الحارث بن شمر الغساني ^(٨) ، وجبله بن الأيهم الغساني ^(٩) ، والمقوقس عظيم القبط وأجابه على

^(١) - نفس المصدر : ١ / ٤٢ ، والهيتمي : مجمع الزوائد : ٥ / ٣١٠ .

^(٢) - الهيتمي : مجمع الزوائد : ٥ / ٣١٠ .

^(٣) - نفس المصدر : ٥ / ٣٠٨ .

^(٤) - البخاري : الصحيح - كتاب المغازي - باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر : ٧ / ٧٣٢ .

^(٥) - محمد حميد الله : الوثائق السياسية : ٥٢ .

^(٦) - الوثائق السياسية : ٤٣ - ٥٢ .

^(٧) - نفس المصدر : ٥٣ .

^(٨) - نفس المصدر : ٦٢ .

^(٩) - نفس المصدر : ٦٤ .

الرسالة^(١)، وإلى المنذر ابن ساوى العبدى عامل كسرى على البحرين^(٢)، وإلى أهل هَجَرَ^(٣)، وإلى أهل عمان والبحرين^(٤)، وإلى قبيلة عبد قيس في البحرين، وقد أسلموا وقدم منهم وفد على رسول الله ﷺ ليتعلموا العلم والإيمان ويعلموه إلى قومهم^(٥)، وإلى أساقفة نجران^(٦)، وإلى مدينة الرها يدعوهم فيها إلى الإسلام^(٧)، وإلى بكر بن وائل وقد أسلموا على أثرها^(٨).

وهناك رسائل أخرى منها ما يتعلق بتبليغ الرسالة ومنها بأنظمة الإسلام كتبها إلى عماله الذين أوفدهم إلى النواحي والبلدان النائية، ولا بد لنا أن ندرك أن النبي ﷺ قد أدى بجميع أوجه الأداء وبكل وسيلة ممكنة، ومنها هذه الرسائل التي أسهمت في البلاغ بقدر وافر، ومهدت لدعوة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

ولعل النتيجة التي نخلص إليها أنه لا يسعنا التقصير في تبليغ العلم وأدائه في عالم اليوم الذي تسرت فيه وسائل الاتصال بشتى أنواعها، لقد بذل محمد ﷺ المتاح من الوسائل في عصره فأين نحن من المتاح في عصرنا؟.

(١) - نفس المصدر: ٧٢.

(٢) - نفس المصدر: ٧٨ - ٧٩.

(٣) - نفس المصدر: ٨٤.

(٤) - نفس المصدر: ٨٩.

(٥) - نفس المصدر: ٩٤. وانظر البخاري: ١ / ١٥٧.

(٦) - نفس المصدر: ١١٠.

(٧) - نفس المصدر: ١٥٧.

(٨) - نفس المصدر: ١٧٥.

المبحث التاسع

الإفادة من الأمم الأخرى:

لقد وضع النبي ﷺ قاعدة ذهبية للأمة، ألا وهي: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحق بها»^(١).

فهذا التوجيه النبوي، يهيئ للمسلم الاستفادة من كل خير، وأخذ العلوم والمعارف من مظانها مادامت لا تصطدم بقواعد الدين، هذا وقد أفاض القرآن الكريم في ذكر قصص الأمم الماضية خيرها وشرها، لأخذ العبرة والعظة من ممارساتها، لأنها تجارب عاشت على وجه هذه الأرض.

ولذلك فالنبي ﷺ وحرصاً منه على الاستفادة، لم يمنع الحديث عن بني إسرائيل بغرض الاستفادة، حيث قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»^(٢)، وكان النبي ﷺ "يحدث عامة ليله عن بني إسرائيل، لا يقوم إلا لعظم الصلاة"^(٣).

وفي القصص النبوي نجد الشيء الكثير الذي يدعو إلى الاطلاع على الأقوام والأمم ومعرفة آثارهم وأعرافهم، وهذا أمر سوغه الشرع بل وندب إليه.^(٤)

هذا ولم يقتصر الأمر على الاعتبار والإفادة من الأمم الماضية، بل

(١) - ابن ماجه: السنن - كتاب الزهد - باب التوكل واليقين: ٢ / ١٣٩٥.

(٢) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ١ / ١٥١.

(٣) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ١ / ١٩٦، وقال إسناده حسن.

(٤) - تنظر قصة موسى والخضر في البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب الخروج في طلب العلم: ١ / ٢٠٨، وغيرها من القصص.

والحاضرة التي عاصرها النبي ﷺ، ولا يمنع بأي حال الإفادة من الكافر المخالف للدين والمعتقد في أمور الحياة التي لا تصطدم مع العقيدة والشرعية والأخلاق، وذلك عندما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له: "إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة جعله في يده ونقش فيه محمد رسول الله" (١).

ولعل في قصة حفر الخندق حول المدينة لمقاومة الأحزاب، ومنعهم من دخولها فكرة فارسية أشار بها سلمان الفارسي على رسول الله ﷺ، ولم يجد حرجاً في الأخذ بها، ولذلك عندما رأى أبو سفيان وأصحابه الخندق قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها. (٢)

وليتحقق التواصل بين المسلمين والأمم الأخرى، نجد أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت بتعلم السريانية، وقد تعلمها في ستة أشهر، فكان يقرأ لرسول الله ﷺ، ويرد عليهم إذا كتبوا. (٣)

وفي إفادة المسلمين من أسرى قريش في معركة بدر دلالة واضحة على أن النبي ﷺ أباح تعلم المسلم من الكافر في أمور لا تضر دينه ولا عقيدته. ذلك أنه عليه أفضل الصلاة والسلام جعل فداء كل أسير، تعليم عشرة من صبيان المسلمين في المدينة المنورة القراءة والكتابة. (٤)

ولعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يترجم لمثل هذا فيقول: " العلم

(١) - البخاري: الصحيح: كتاب الجهاد والسير - باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم: ٦ / ١٢٧.

(٢) - ابن عبد البر: الاستيعاب: ٢ / ٥٨.

(٣) - ابن سعد: الطبقات: ٢ / ١١٥.

(٤) - الحاكم: المستدرک: ٢ / ١٤٠، والبخاري: التاريخ الكبير: ٢ / ٣٨١.

ضالة المؤمن، فخذوه ولو من أيدي المشركين. ^(١)

هذا وقد استمر المسلمون في الإفادة من الأمم الأخرى في بعض المعارف والفنون، فمن ذلك ما قاله ابن جلجل عن ماسرجويه: " أنه كان يهوى المذهب، وقد تولى أيام عبد الملك بن مروان تفسير كتاب أهرن بن عين القس إلى العربية، ووجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه، فاستخار الله في وضعه للمسلمين للانتفاع به، فلما تم له ذلك أربعين صباحاً أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم. ^(٢)

وموضوع الكتاب في الطب، ولعل هذه القصة تشير وبوضوح إلى أن الدولة قد تبنت الترجمة إلى العربية بشكل رسمي منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام، والذي تطور وتوسع أيام الدولة العباسية.

وهذا يشير وبوضوح إلى الوعي المبكر بضرورة الاتصال بالأمم الأخرى وقد كان لذلك الاتصال أثره حيث انساح الإسلام شرقاً وغرباً ودخل الناس في دين الله أفواجا.

^(١) - ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١ / ١٢١.

^(٢) - طبقات الأطباء: ٦١.

المبحث العاشر

إنشاء المدارس:

إن أول عمل قام به النبي ﷺ عند وصوله المدينة هو بناء المسجد، وقصة بنائه مشهورة، حيث قال: «يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فتم بناء مسجده الشريف»^(١).

ومنذ تأسيس مسجده عليه أفضل الصلاة والسلام أصبح مدرسة يرتادها الصحابة لتلقي العلم، فكان أحياناً يجلس ﷺ على المنبر والناس حوله يعلمهم أمور دينهم.^(٢)

وأحياناً يجلس ويتحلق الناس حوله، وقصة الثلاثة الذين أقبلوا على الحلقة في المسجد، فجلس اثنان وذهب الثالث، أخرجها البخاري.^(٣)

وقد حث النبي ﷺ الصحابة على ارتياد مسجده حيث قال: «من جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»^(٤).

وهذا ما دعا أحد الصحابة، وهو سليط رضي الله عنه إلى إرجاع الأرض التي أقطعه إياها رسول الله ﷺ عندما قيل له: "لقد نزل بعدك من القرآن كذا

(١) - مسلم: الصحيح: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ابتناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم: ١ / ٣٧٣.

(٢) - الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه: ٢ / ١٢٤.

(٣) - الصحيح: كتاب العلم - باب من قعد حيث ينتهي به المجلس: ١ / ١٨٨.

(٤) - ابن ماجه: السنن - المقدمة: ١ / ٨٢.

وكذا، وقضى رسول الله ﷺ في كذا وكذا، حينها انطلق إلى رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله، إن هذه الأرض التي اقتطعتينها قد شغلتنني عنك فأقبلها مني، فلا حاجة لي في شيء يشغلني عنك" (١).

بهذه الهمة وبهذه الروح كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على تلقي العلم.

وصورة أخرى تدل على الحرص، وهو ما كان من عمر بن الخطاب رضي الله، حيث يحكي حاله وقت التحصيل فيقول: كنت أنا وجار لي من الأنصار في عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك" (٢).

ومنهم من انقطع وفرغ نفسه لملازمته طمعاً في الإكثار من تحصيل العلم كما هو حال أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تم له ذلك حيث أصبح أكثر الصحابة حفظاً للحديث. (٣)

ولم يقتصر الأمر على السماع من النبي ﷺ، بل هناك حلقات مذاكرة القرآن والحديث، حيث يحكي معاوية رضي الله عنه واقعة وهو شاهد عيان يقول: "كنت مع النبي ﷺ يوماً فدخل المسجد، فإذا هو يقوم في المسجد قعود فقال النبي ﷺ: ما يقعدكم؟

قالوا: صلينا الصلاة المكتوبة، ثم قعدنا نتذكر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ" (٤).

(١) - الأموال: ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) - البخاري: الصحيح: كتاب العلم - باب التناوب في العلم: ١ / ٢٢٣.

(٣) - البخاري: الصحيح: كتاب العلم - باب حفظ العلم: ١ / ٢٥٨.

(٤) - الحاكم: المستدرک: ١ / ٩٤.

وخرج يوماً عليه الصلاة والسلام من بعض حجره، فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين، إحداهما يقرؤون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال النبي ﷺ: «كل على خير، هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون إلى الله، فإن شاء أعطاهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بعثت معلماً فجلس معهم»^(١).

ولعل هذه القصة تؤكد أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يؤدون العلم حالة تحمله.

إن الأداء المبكر هو نوع من المذاكرة التي ترسخ الحفظ وتنميته. إذن فمسجد النبي ﷺ كان مركز إشعاع يرتاده القريب والبعيد لتحصيل العلم وتحمله، والبعض يتحمل ويؤدي في وقت واحد.

وإذا كان هذا هو حال المسجد النبوي فلا ننسى أول جامعة إسلامية، ألا وهي جامعة أهل الصفة، وكانت بجوار المسجد النبوي، وكانت هذه الجامعة مخصصة للوافدين والواردين على المدينة من خارجها.

وقد تميزت هذه الجامعة بإسكان الطلاب وكفالتهم وبإشراف النبي ﷺ ورعايته لهم، وقد كانوا يسمون بأضياف الإسلام.

وقد كان النبي ﷺ يقوم بتعليمهم بنفسه ويشرف على إطعامهم كذلك.

وقد كانت أمور أهل الصفة في غاية من النظام، فقد عين النبي ﷺ أبا هريرة رئيساً عليهم ينوب عنهم في المهمات، وهو أشبه ما يكون اليوم بسكن الطلاب، وهذا الأمر يعتبر إقراراً مبكراً من قبل النبي ﷺ لتمثيل الهيئات وأصحاب النقابات والمهن واتحادات الطلاب.

وربما وقع الاختيار على أبي هريرة رضي الله عنه لأنه منقطع لطلب

^(١) - ابن ماجه: السنن: المقدمة: ١ / ٨٣.

العلم، دائم الحضور، متواجد معهم في جميع الأوقات مما يجعله عارفاً بأحوالهم وحوادثهم.

ومما ينبغي ملاحظته أن النبي ﷺ عين لهم مدرسين يدرسونهم سوى ما كان ﷺ يقوم به من تعليمهم، ومن هؤلاء المدرسين عبد الله بن سعيد بن العاص^(١)، وعبد الله بن الصامت^(٢)، وأبو ذر الغفاري^(٣).

إن أهم صفة لهؤلاء المتعلمين هي الزهد والقناعة والرغبة في تحصيل العلم هذا ولم يكن أهل الصفة بالعدد اليسير، قال قتادة: بلغوا تسعمئة^(٤).

ومثل هذا العدد كبير جداً إذا أخذنا بنظر الاعتبار ضعف الإمكانيات وقلة الموارد، لكنها الرعاية النبوية وإحساس الصحابة بمسؤوليتهم تجاه أضياف الإسلام وطلبة العلم مع قناعة وأدب منقطع النظير، فقد حكى أبو هريرة قصة لها دلالتها، وهي أنهم إذا اجتمعوا على أكل تمر وأكل أحدهم تمرتين معاً قال لأصحابه: (إني قرنت فأقرنوا) لثلاثين من التمر أكثر منهم^(٥).

ويضاف إلى هذين المركزين الهامين مسجد قباء، وهو على ثلاثة أميال من المدينة المنورة، وكان النبي ﷺ "يأتيه كل سبت ماشياً وراكباً"^(٦).

قال ابن حجر: "وفي الحديث جواز تخصيص بعض الأيام ببعض الأعمال

(١) - ابن حجر: الإصابة: ٢ / ٣١٩.

(٢) - أحمد: المسند: ٥ / ٣١٥.

(٣) - البيهقي: السنن الكبرى: ٦ / ١٢٦.

(٤) - التراتيب الإدارية: ١ / ٣٤٠.

(٥) - أبو نعيم: الحلية: ١ / ٣٣٩.

(٦) - البخاري: الصحيح: كتاب فضائل الصلاة في مسجد مكة والمدينة- باب من أتى مسجد قباء كل سبت: ٣ / ٨٣.

الصالحة والمداومة على ذلك" (١).

على أن النبي ﷺ عندما كان يزور قباء يزوره معلماً متفقداً لأحوال من لم يحضر في مسجده يوم الجمعة، وهذا هو السر في تخصيص ذلك يوم السبت. (٢)

ويذكر بعض المؤرخين أنه كان بالمدينة تسعة مساجد وربما كانت تقوم بنفس المهمة أسوة بالمسجد النبوي. (٣)

وهناك مركز بدار القراء، وتلك الدار هي دار نوفل بن مخزومة (٤)، ولعل هناك أماكن أخرى خاصة لكتابة القرآن الكريم ونسخه وتلقين خواص الصحابة دقائق المسائل وصعابها والله تعالى أعلم.

وبعد فلعل المباحث العشرة تلقي الضوء على خطة النبي ﷺ في نشر العلم وإذاعته من جانب لتغطي دوائر المجتمع المختلفة، ومن جانب آخر لتلبي حاجة الأمة في البناء والتنمية، لتكون راعية وموجهة لأمم الأرض قاطبة.

وهذا ما حصل، ففي ربع قرن من الزمان، انساح الإسلام شرقاً وغرباً ليملا الأرض علماً وثقافةً، وكل ذلك يعود إلى قوة التأسيس وسلامة المنهج ودقة التخطيط الذي وضعه معلم البشرية محمد ﷺ.

(١) - ابن حجر: الفتح: ٣ / ٨٤.

(٢) - نفس المصدر: ٣ / ٨٤.

(٣) - البلاذري: الأنساب: ١ / ٢٧٣.

(٤) - ابن سعد: الطبقات: ٤ / ١٥٠.

الفصل الثاني

الوسائل التعليمية: وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المشافهة.

المبحث الثاني: الكتابة.

المبحث الثالث: العرض.

المبحث الرابع: التعليم العملي.

المبحث الخامس: الوسائل التعليمية.

الفصل الثاني

الوسائل التعليمية

المبحث الأول

المشافهة:

الأصل في أداء العلم أن يكون شفاهاً، وهكذا نزل القرآن الكريم، ألقاه جبريل على النبي ﷺ، وشافه النبي ﷺ أصحابه وألقاه عليهم فحفظوه عنه.

قال أبي بن كعب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إني تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل عليه السلام وهو رطب"^(١).

وفي حديث آخر قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال: الله سماني؟ قال نعم، قال: وذكرت عند رب العالمين؟ قال: نعم، فذرفت عيناه»^(٢).

وغير أبي كثير من تلقوا القرآن من فم الرسول ﷺ مشافهة، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "أخذت من فيه صلى الله وسلم سبعين سورة، ما نازعني فيها بشر"^(٣)، هذا غير ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ في الصلاة وغيرها.

أما السنة المطهرة، فقد حظيت بالمشافهة كما حظي القرآن الكريم بها

(١) - أحمد: المسند: ٥ / ١١٧.

(٢) - أحمد المسند: ٣ / ١٣٠.

(٣) - أحمد: المسند: ١ / ٣٧٩.

وبصور متعددة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " علمني رسول الله ﷺ
التشهد كفي بين كفيه، كما يعلمني السورة من القرآن" (١).

وورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه في التشهد (٢)، وفي الدعاء بعد
الصلاة وفيه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن. (٣)

ومن صور المشافهة النبوية غير ما تقدم إجابة النبي ﷺ عن سؤال يرد إليه
من أحد أصحابه، ومن أمثلة ذلك أن حمزة بن عمرو الأسلي سأل عن
الصيام في السفر؟ فقال: «إن شئت فصم وإن شئت فأفطر» (٤).

ومن صور المشافهة كذلك الخطاب العام الذي كان يلقيه في الجمع
والعيدين والمناسبات والمواسم، وأشهر خطبه خطبة يوم النحر في حجة
الوداع، فهي أعظم خطبة في تاريخ البشرية من حيث الأحكام التي وردت
فيها، ناهيك عن البلاغة وجوامع الكلم، يضاف إلى ذلك عدد من سمعها
وحضرها، فقد حضرها أكثر من مئة ألف نفس.

هذا وقد بقي هذا المنهج منذ عصر نزول القرآن وإلى اليوم، يتلقى
اللاحق من السابق بطرق أعلاها وأرفعها مشافهة الشيخ لتلميذه، وقد سماها
علماء مصطلح الحديث: السماع من لفظ الشيخ. (٥)

(١) - مسلم: الصحيح: كتاب الصلاة - باب التشهد في الصلاة: ١ / ٣٠٢.

(٢) - نفس المصدر: كتاب الصلاة - باب التشهد في الصلاة: ١ / ٣٠٢.

(٣) - مسلم: الصحيح: كتاب الصلاة - باب ما يستفاد منه في الصلاة: ١ / ٤١٣.

(٤) - مسلم: الصحيح - كتاب الصيام - باب التخيير في الصوم والفطر في السفر: ٢ / ٧٨٩.

(٥) - السيوطي: تدريب الراوي: ص: ٢٣٥.

المبحث الثاني

الكتابة:

وهي وسيلة معتبرة اعتمدها النبي ﷺ في كتابة القرآن الكريم بعد أن أجادوا فن الكتابة حتى بلغ عددهم الستين كاتباً للوحي بين يديه على تفاوت في مراتبهم ومقدار ما يكتبون، فمنهم المقل ومنهم المكثّر.^(١)

وكان النبي ﷺ يملئ بنفسه على الكاتب، فعن البراء قال: " لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله، قال النبي ﷺ: ادع لي زيدا ليحيى باللوح والدواة والكتف، ثم قال: اكتب (لا يستوي القاعدون)^(٢)، وربما دعا غير زيد حسب ما يقتضيه الحال، فقد كتب الوحي لرسول الله ﷺ غيره كما مر.

واللافت للنظر شدة عناية النبي ﷺ، فحالة نزول القرآن دعا زيدا ليملي عليه ما نزل، وكتب القرآن من أوله إلى آخره وياملاء النبي ﷺ على كتاب الوحي.

أما السنة المطهرة فلم يباشر النبي ﷺ إملاء الحديث على الصحابة ليكتبوها كالقرآن، وإنما ترك الأمر للمهارات والقابليات، فمن كانت عنده قابلية للحفظ فليحفظ كما حصل ذلك لأبي هريرة رضي الله عنه وعبد الله بن عمرو بن العاص، فأحدهما تأهل للحفظ والآخر تأهل للكتابة، فكان الأول أكثر الصحابة حفظاً وكان الثاني أكثر الصحابة كتابة، كما صرح بذلك أبو

(١) - الأعظمي: كتاب النبي ﷺ: ص ١٢.

(٢) - البخاري: الصحيح: كتاب فضائل القرآن - باب كاتب النبي ﷺ: ٦٣٧/٨ - ٦٣٨.

هريرة بقوله: " ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب " (١) .

وكذلك أمر النبي ﷺ أن تكتب عنه بعض الأحاديث ، كما حصل لأبي شاه في فتح مكة ، حيث طلب أن تكتب له خطبة النبي ﷺ فقال: «اكتبوا لأبي شاه» (٢) .

بل وقال لهم في مرضه الذي توفي فيه «اثنوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» (٣) .

وكانت عند علي صحيفة يحتفظ بها في قوائم سيفه فيها العقل وفكاك الأسير (٤) ، وصحيفة لعبد الله بن عمرو بن العاص أسماها الصادقة وكان يعتز بها (٥) ، وكانت كتابته بتوجيه النبي ﷺ بقوله: «استعن بيدك مع قلبك» (٦) .

هذا وتشير رواية ضعيفة إلى أن النبي ﷺ كان يرشد الكاتب أثناء كتابته حيث يقول له: «ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملي» (٧) .

قال شراح الحديث: إن وضع القلم على الأذن أسرع تذكراً فيما يريد الكاتب إنشاء من العبارات ، لأنه يقتضي التأني وعدم العجلة ، وكون القلم

(١) - البخاري: الصحيح: كتاب العلم - باب كتابة العلم: ١ / ٢٤٨ .

(٢) - نفس المصدر: كتاب العلم - باب كتابة العلم: ١ / ٢٤٨ .

(٣) - البخاري: الصحيح: كتاب العلم - باب كتابة العلم: ١ / ٢٥١ .

(٤) - البخاري: الصحيح: كتاب العلم - باب كتابة العلم: ١ / ٢٤٦ .

(٥) - الخطيب البغدادي: تقييد العلم: ٨٤ .

(٦) - الدارمي: السنن - باب من رخص في كتابة العلم: ١ / ١٢٦ .

(٧) - الترمذي: السنن - كتاب الأدب - باب (٢١): ٧ / ٤٩٦ .

في اليد يحمل على الكتب بأدنى تفكر فلا يحسن عبارته. ^(١)

وهناك رواية عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كتب أحدكم كتاباً فليتربه فإنه أنجح للحاجة» ^(٢)، قال شراح الحديث: "المعتمد في معنى الحديث ذر التراب عليه ليجف المداد صيانة عن طمس الكتابة، ولا شك أن بقاء الكتابة على حالها أنجح للحاجة." ^(٣)

أما كتبه ﷺ التي أملاها على كتابه والموجه إلى عماله تارة وإلى ملوك الأرض تارة أخرى فهي كثيرة، وقد أشرت إليها في الفصل الأول في مبحث الرسائل، فانظره في موضعه.

هذا وقد نمت الكتابة بعد ذلك حتى دوت السنة المطهرة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز التدوين الرسمي، ثم فرغ هذا التدوين وغيره من المحفوظ في دواوين الإسلام فله الحمد والمنة.

^(١) - المباركفوري: تحفة الأحمدي: ٧ / ٤٩٦.

^(٢) - الترمذي: السنن: باب ترتيب الكتاب: ٧ / ٤٩٤.

^(٣) - المباركفوري: ٧ / ٤٩٥.

المبحث الثالث

العرض:

هو عرض المسموع على الشيخ للتأكد من صحة المسموع، وربما يكون العرض معارضة، والمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كلاهما كان يقرأ والآخر يسمع.^(١)

وقد كان جبريل يعارض النبي ﷺ القرآن، فعن فاطمة رضي الله عنها قالت: "أسر إليّ النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي"^(٢).

وتصرح الروايات بأن ذلك كان في رمضان^(٣)، وكان النبي ﷺ يطلب من بعض أصحابه أن يقرأ عليه القرآن، وكان يقول: «أحب أن أسمعه من غيري»^(٤).

وهو نوع من العرض، وفائدته اختبار حفظ القارئ، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه عليه مرة فإذا عيناه تذرفان ﷺ.^(٥)

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم سري عنه، فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة، فأكتب

(١) - ابن حجر: الفتح: ٨ / ٦٥٩.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب فضائل القرآن - باب كان جبريل يعرض على النبي ﷺ القرآن: ١ / ٦٥٨.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب فضائل القرآن: ١ / ٦٥٩.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب فضائل القرآن - باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره: ٨ / ٧١١.

(٥) - نفس المصدر: كتاب فضائل القرآن - باب البكاء عند قراءة القرآن: ٨ / ٧١٦.

وهو يملئ علي، فما فرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبداً، فإذا فرغت قال اقرأ، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس^(١).

هذا وقد حظيت السنة بشيء من المعارضة وإن كانت بأقل مما للقرآن الكريم، وذلك لجواز رواية الحديث بالمعنى وعدم جواز ذلك للقرآن الكريم. وما نقل عن معارضة السنة سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، وبيان النبي ﷺ له ثم قال: «هذا جبريل عليه السلام يعلمكم أمور دينكم»^(٢).

وعنون الإمام البخاري للعرض باباً فقال: "القراءة والعرض على المحدث، ورأي الحسن الثوري ومالك: القراءة جائزة، واحتج بعضهم في القراءة على العالم بحديث ضمام بن ثعلبة، أنه قال للنبي ﷺ: "الله أمرك أن تصلي الصلوات، قال: نعم"، قال فهذه قراءة على النبي ﷺ، أخبر بها ضمام قوله بذلك فأجازه.

واحتج مالك بالصك يُقرأ على القوم فيقولون: "أشهدنا فلان، ويقرأ ذلك قراءة عليهم، ويقرأ على المقرئ فيقول القارئ أقراني فلان، وعن الحسن قال لا بأس بالقراءة على العالم، وعن مالك وسفيان: القراءة على العالم وقراءته سواء"^(٣).

وساق البخاري حديث ضمام بن ثعلبة الطويل وهو يسأل رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يصدقه^(٤)، وقد اعتبر العلماء هذه المسألة عرضاً أقرها النبي ﷺ.

(١) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٥٧ ١.

(٢) - نفس المصدر: كتاب التفسير - باب أن الله عنده علم الساعة: ٨ / ٣٧٣.

(٣) - البخاري: الصحيح: كتاب العلم - باب ما جاء في العلم: ١ / ١٧٩.

(٤) - نفس المصدر: كتاب العلم - باب ما جاء في العلم: ١ / ١٧٩.

المبحث الرابع

التعليم العملي:

الحال أبلغ من المقال ، وقد اشتملت السنة النبوية المطهرة على جانب كبير من السنن الفعلية التي كان النبي ﷺ يباشرها تعليمياً عملياً للصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، فمن ذلك :

أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى ظهر في وجهه فقام فحكه بيده^(١) ، ونقل عنه ﷺ كيفية وضوئه^(٢) .

وفي تعليمهم عدد أيام الشهر ، ضرب بيده وقال الشهر هكذا وهكذا عشر وعشراً وتسعاً مرة^(٣) .

وفي يوم عرفة اختلف الناس عند أم الفضل بنت الحارث في صوم النبي ﷺ : فقال بعضهم هو صائم ، وقال بعضهم ليس بصائم ، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه^(٤) ، ومناسبة شربه اللبن على الدابة لإعلام الناس بحاله وأنه غير صائم ليشاهدوه .

ومسائل الحج أخذت ونقلت من فعله عليه الصلاة والسلام طوافاً وسعيّاً ورمياً فمن ذلك : أنه مر وهو يطوف بالكعبة بإنسان ربط يده إلى إنسان يسير

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب الصلاة - باب حك البزاق باليد من المسجد: ١ / ٦٠٥ .

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الوضوء - باب الوضوء من التور: ١ / ٣٦٣ .

(٣) - مسلم: الصحيح - كتاب الصيام - باب الشهر يكون تسعاً وعشرين: ٢ / ٧٦٤ .

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب الحج - باب الوقوف على الدابة بعرفة: ٣ / ٥٩٩ .

أو بخيط أو بشيء غير ذلك، فقطعه النبي ﷺ بيده ثم قال: قد به بيده. ^(١)

ومرة مر ﷺ بقبرين فقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين فغرز في كل قبر واحدة، قالوا يا رسول الله: لم فعلت هذا؟ قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» ^(٢).

وفي قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، علم الصحابة عملياً حكم تلك المسألة حيث دعا رسول الله ﷺ بماء فصبه عليه. ^(٣)

ونقل عمار رضي الله عنه كيفية تيمم النبي ﷺ حيث قال: "فضرب النبي ﷺ بيده الأرض فمسح وجهه وكفيه" ^(٤).

وقال عمر عند تقبيله للحجر الأسود: "شيء صنعه النبي ﷺ، فلا نحب أن نتركه". ^(٥)

وقد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تعلموا الصلاة من فعل النبي ﷺ، ففي مرة صلى ركعتين من بعض الصلوات، ثم قام فلم يجلس فقام الناس معه، فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم. ^(٦)

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب الحج - باب الكلام في الطواف: ٥٦٣ / ٣.

^(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الضوء - باب ٢١٨: ٣٨٥ / ١.

^(٣) - نفس المصدر والباب: ٣٨٥ / ١.

^(٤) - نفس المصدر: كتاب التيمم - باب التيمم للوجه والكفين ٥٢٩ / ١.

^(٥) - نفس المصدر: كتاب الحج - باب الرحل في الحج والعمرة: ٥٥٠ / ٣.

^(٦) - نفس المصدر: كتاب السهو - باب ما جاء في السهو: ١١١ / ٣.

قال الحافظ ابن حجر: "وأفعاله محمولة على البيان، وبيان الواجب واجب، ولا سيما مع قوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١).

ومرة أراد أن يعلمهم درساً في تفقد أهل الخير وإن كان خادماً، فقد روى أبو هريرة أن رجلاً أسود كان يقيم المسجد فمات، فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات، فقال: «أفلا كنتم آذنتموني، دلوني على قبره أو قال قبرها فأتى قبره فصلى عليه»^(٢).

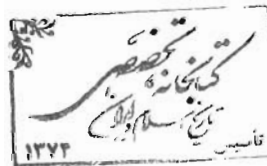
ومن صور التعليم العملي المشاركة في أعمال الخير، فقد كان ﷺ يجسد قضية التعاون في حمله اللبن مع الصحابة في بناء المسجد.^(٣)

وبعد فهذه بعض الأمثلة التي تدل وبوضوح على أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بالجانب العملي التطبيقي في تعليم صحابته رضوان الله عليهم أجمعين، إدراكاً منه ﷺ أثر هذا الأسلوب في نفس المتعلم، خاصة إذا كان مصدر هذا التعليم نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة والسلام.

(١) - فتح الباري: ٣ / ١١١.

(٢) - البخاري: البخاري: الصحيح - كتاب الصلاة - باب كنس المسجد: ١ / ٦٥٨.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب الصلاة - باب التعاون في بناء المسجد: ١ / ٦٤٤.



المبحث الخامس

الوسائل التوضيحية:

لم يترك النبي ﷺ وسيلة ممكنة إلا وأخذ بها سعياً لإيصال العلم إلى أذهان السامعين، ويزداد الأمر أهمية إذا تباينت أحوال السامعين وتفاوتت مداركهم، فمن الوسائل المتاحة والمناسبة في ذلك الزمان وكذلك المكان:

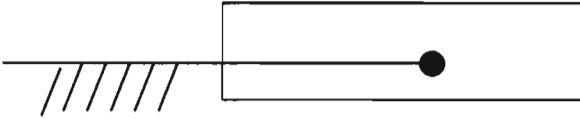
استعماله الرسم والأشكال: وقد عنون الإمام البخاري رحمه الله باب في الأمل وطوله، وأورد حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "خط النبي ﷺ خطأً مربعاً، وخط خطأً في الوسط خارجاً منه، وخط خطأً في الوسط خارجة منه، وخط خطأً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا"^(١).

وفي رواية أنس فينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب.

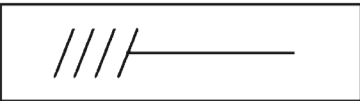
قال الحافظ ابن حجر قوله^(٢): "خط النبي ﷺ خطأً مربعاً" الخط والرسم والشكل والمربع والمستوي الزوايا" قوله: "وخط خطأً في الوسط خارجاً منه وخط خطأً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط"، قيل هذه صفة الخط:

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب الرقاق - باب في الأمل وطوله: ١١ / ٢٣٩.

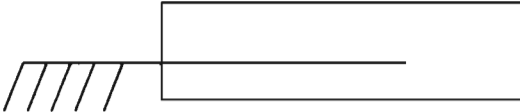
(٢) - فتح الباري: ١١ / ٢٤٠.



وقيل صفته :

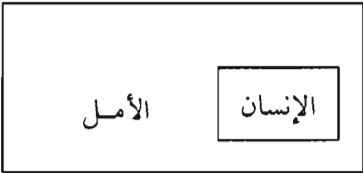


وقيل صفته :



وقيل صفته :

الأجل



ورسمه ابن التين هكذا :

قال الحافظ ابن حجر: "والأول المعتمد وسياق الحديث يتنزل عليه بالإشارة بقوله: "هذا الإنسان إلى النقطة الداخلة"، وبقوله "وهذا أجله محيط به إلى المربع"، وبقوله: "وهذا الذي هو خارج أمله" إلى الخط المستطيل المنفرد وبقوله: "وهذه" إلى الخطوط وهي مذكورة على سبيل المثال، لا أن المراد انحصارها في عدد معين، ويؤيده قوله في حديث أنس بعده: "إذ جاءه الخط الأقرب، فإن أشار به إلى الخط المحيط به، ولا شك أن الذي يحيط به أقرب إليه من الخارج عنه، وقوله "خططاً" بضم المعجمة والطاء الأولى للأكثر، ويجوز فتح الطاء، وقوله: "هذا إنسان مبتدأ وخبر: أي هذا الخط هو الإنسان على التمثيل".^(١)

إن هذا التوضيح بهذا الرسم ليدل على أن معلم البشرية محمد ﷺ صاحب منهج تعليمي متكامل لا مثيل له في الدنيا، وصورة أخرى بيانية رائعة بين فيها طريق الخير وطريق الشر للسالكين، فنراه يخط خطأ ويقول هذه سبيل الله، ثم يخط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ويقول هذه سبيل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٢).

ومرة أخرى نراه ﷺ يغرز بين يديه غرزاً ثم غرز إلى جنبه آخر، ثم غرز الثالث فأبعده ثم قال: «هل تدرون ما هذا؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال هذا الإنسان، وهذا أجله، وهذا أمله يتعاطى الأمل يختلجه الأجل دون ذلك»^(٣).

(١) - فتح الباري: ١١ / ٢٤١.

(٢) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ٧ / ٢٥.

(٣) - نفس المصدر: ١٠ / ٢٥٨.

ومرة تمارى بعض الصحابة في القدر فكره ذلك وقال: «كل شيء بقضاء وقدر، ولو هذه وضرب بإصبعه السبابة على ذراعه الآخر.»^(١)

إن استخدام النبي ﷺ لهذه الوسائل على بساطتها لتدل دلالة قاطعة على عمق المنهج وشموله، مع براعة فائقة في التطبيق، وإذا كان معلم البشرية محمد ﷺ قد استخدم ما أمكنه من وسائل منذ خمسة عشر قرناً من الزمان فأين موقعنا نحن اليوم من استخدام المتاح في عصرنا من وسائل؟

وعمد مرة إلى شجرة فهزها حتى تساقط ما شاء الله أن يتساقط من ورقها، ثم قال: المصيبات والأوجاع أسرع في ذنوب بني آدم من هذه الشجرة^(٢)، وكثيراً ما كان يستعمل أصابعه الشريفة لبيان المراد من المعنى فنراه يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين - يعني إصبعين-»^(٣).

وفي بيان أجر كافل اليتيم نراه يشير بإصبعيه الشريفتين السبابة والوسطى ويقول: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة هكذا»^(٤)، وأحياناً يشبك بين أصابعه الشريفة ويقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٥).

وفي تعليمهم عدد أيام الشهر: ضرب بيده على الأخرى فقال: «الشهر هكذا وهكذا عشراً عشراً وتسعاً مرة.»^(٦)

(١) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ٧ / ٢١١.

(٢) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢ / ٣٠٤.

(٣) - البخاري: كتاب الرقاق - باب وقول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة
كهاتين: ١١ / ٣٥٥

(٤) - البخاري الصحيح: كتاب الأدب - باب فضل من يعول يتيماً: ١٠ / ٤٥٠.

(٥) - نفس المصدر: باب تعاون الموفين بعضهم بعضاً: ١٠ / ٤٦٤.

(٦) - مسلم: الصحيح - كتاب الصيام - الشهر يكون تسعاً وعشرين: ٢ / ٧٦٤.

فنحن مطالبون اليوم بالإفادة من الوسائل الحديثة من تلفاز وكمبيوتر وإنترنت، وأي وسيلة أخرى تيسر لنا طريق العلم والمعرفة، ومن باب آخر: الإفادة منها في بث علوم الإسلام وقيمه للناس، إن التقصير في استخدام هذه الوسائل يجعلنا في موضع التلقي فحسب، وهذه الحال لا تليق بأمة الإسلام التي جعلها الله مصدر هداية للبشرية على وجه الأرض.

لقد آن الأوان لأن تعبأ هذه الوسائل وبشكل منهجي وموضوعي بما لدينا من معارف وقيم وبلغات شتى، لترضع الأجيال معاني الإيمان والعلم النافع لتسعد البشرية على أيدينا بإذن الله.

الفصل الثالث

أساليب التعليم، وطرق الأداء، وفيه ثلاثة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: تهيئة الجو الدراسي.

المبحث الثاني: التمهيد للدرس.

المبحث الثالث: إعادة الحديث.

المبحث الرابع: مقدار الصوت.

المبحث الخامس: الحوار والمناقشة.

المبحث السادس: التلطف في الأداء.

المبحث السابع: الغضب عند الأداء.

المبحث الثامن: جدولة الأداء العلمي.

المبحث التاسع: التدرج في التعليم.

المبحث العاشر: الأداء العلمي عن طريق إجابة السائل.

المبحث الحادي عشر: ضرب الأمثلة.

المبحث الثاني عشر: القصص.

المبحث الثالث عشر: الامتحان.

الفصل الثالث

أساليب التعليم وطرق الأداء

تمهيد:

إن من أهم ما يميز العملية التعليمية عن غيرها من المهن أن نجاحها مرتبط أساساً بعنصرين هامين متكاملين، ألا وهما شخصية المعلم وحسن أدائه .
وشخصية المعلم هي أوصافه وأخلاقه وسمته التي تورثه هبة وجلالاً، وهذا ما تتمتع به المعلم الأول محمد ﷺ، فقد كانت شخصيته فذة فريدة، فكان إذا تكلم بين أصحابه كانوا كأنما على رؤوسهم الطير .

ولم تأت هذه الهبة وهذا الجلال من فراغ ولا عن تكلف، بل هي نتيجة طبيعية لمعيشة يومية صادقة، أحسوا من خلالها إحساساً حقيقياً بصدقه في رسالته، وصدقه مع نفسه، وصدقه معهم، عايشهم في السراء والضراء، ولم يتميز عنهم بمأكل ولا مشرب ولا مركب ولا مسكن .

ولعل في قصة أبي طلحة دلالة واضحة على قوة العلاقة بين التلميذ والطالب: يحدث أنس رضي الله عنه وهو شاهد عيان على الحدث "أن أبا طلحة قال لأم سليم: "لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟

فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته في يدي، ورددتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبت إليه فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناس، قال:

فقامت عليهم فقال رسول الله ﷺ أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم ، قال : بطعام ؟ قلت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه قوموا ، فانطلقوا ، فانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ، قالت أم سليم : الله ورسول أعلم ، قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ، ما عندك ؟ فأتته بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم بعكة لها فأدمته حتى قال رسول الله ﷺ : ما شاء الله أن يقول . ثم قال : ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا فقال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم ثمانون رجلاً " .

ثم أكل النبي ﷺ وأهل البيت وتعاهدوا الجيران^(١) ، ولم تكن هذه القصة الوحيدة فهناك قصص أخرى من صحابة آخرين ، شعورهم شعور أبي طلحة ، فهذا رجل من الأنصار يكنى أبا شبيب ، قال لغلام له قصاب : " اجعل لي طعاماً يكفي خمسة من الناس ، فإني أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس خمسة فإني قد عرفت في وجهه الجوع ، فدعاهم فجاء معهم رجل ، فقال النبي ﷺ إن هذا قد تبعنا فإن شئت أن تأذن له فأذن له ، وإن شئت أن يرجع رجع ، فقال : لا . بل أذنت له . " ^(٢)

وبعد فهذه القصص نموذج من معاشة صادقة ملؤها الحب والتقدير وفيها

^(١) - البخاري : الصحيح - كتاب المناقب - باب علامات النبوة : ٦ / ٦٧٨ - ٦٧٩ .

الترمذي : كتاب الدعوات - باب (٣٠) : ١٠ / ١٠٣ - ١٠٤ .

^(٢) - البخاري : الصحيح - كتاب الصوم - باب ما قيل في اللحم والجزار : ٤ / ٣٦٥ .

من الدلالات والعبر الشيء الكثير، وفوق ذلك كله فقد كان النبي ﷺ صاحب رسالة وهدف واضح محدد، وهذه أهم صفات المعلم.

إن الأزمة التي يعاني منها التعليم اليوم، ضمور الفكرة وغياب الهدف من ثمّ تقاعس الهمة وضعف المشاركة وقلة الإنتاج، بل انعدامه كلياً في كثير من الأحيان.

إن السبيل الوحيد لصياغة شخصية المعلم المعاصر هو إحياء سنة الاقتداء بالنبي ﷺ، وترسم خطاه، وعند ذلك تتضح الفكرة، ويتحدد الهدف، وتحقق ريادة المعلم الذي يصدر عنه كل خير بإذن الله.

أما الأداء النبوي للتعليم فلعل المباحث التالية تكشف عن مضمونه وفحواه.

المبحث الأول

تهيئة الجو الدراسي:

لا شك أن توفير الجو الدراسي المناسب للطلاب يساعده على السماع ثم الفهم والاستيعاب، ولذلك اعتمد النبي ﷺ نظام الحلقات في أداء العلم وتبليغه، وكان يجلس في الحلقة والصحابة حوله، فإذا قدم قادم جلس حيث ينتهي به المجلس، وإن كانت فرجة في الحلقة جلس فيها.^(١)

وقال: «من قعد في وسط الحلقة ملعون»^(٢).

ومما يؤكد التهيئة للدرس حديث جبريل الطويل الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع يده على فخذه وقال: "يا محمد أخبرني... إلى آخر الحديث"^(٣).

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال له في حجة الوداع استنصت الناس ثم قال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب من قعد حيث ينتهي به المجلس: ١ / ١٨٨.

(٢) - أحمد: الفتح الرباني - كتاب العلم - باب مجالس العلم وآدابها وآداب المتعلم: ١ / ١٥٥.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل عن الإيمان الإسلام: ١ / ١١٤.

وعنون الإمام البخاري لذلك باباً بقوله: «باب الإنصات للعلماء»^(١)، قال الحافظ ابن حجر: "معناه السكوت والاستماع لما يقولونه".^(٢)

ويوجه النبي ﷺ الطلاب للمحافظة على الهدوء وعدم تعكير صفاء الدرس بقوله: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»^(٣)، وفي وصيته ﷺ أنه قال: «علموا وبشروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت» - وفي رواية أنس - «يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا»^(٤).

قال الشارح رحمه الله: "هو بمعنى بشروا أي طمئئوهم بذكر ما يؤلفهم لقبول الموعدة والتعليم"^(٥)، وكل ذلك تهيئة لاستقبال العلم من قبل التلاميذ والراغبين في التعلم.

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب الإنصات للعلماء: ١ / ٢٦٢.

^(٢) - فتح الباري: ١ / ٢٦٢.

^(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب فضائل القرآن - باب اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليكم قلوبكم: ٨ / ٧١٨.

^(٤) - أحمد: الفتح الرباني - كتاب العلم - باب الحث على تعليم العلم وآداب المتعلم: ١ / ١٥١.

^(٥) - الساعاتي: الفتح الرباني: ١ / ١٥٢.

المبحث الثاني

التمهيد للدرس:

لكل شيء مفتاح، هكذا جرت السنن، والدرس سنة من هذه المنظومة المتكاملة، ومفتاحه أن يمهّد له بتمهيد حسن، وما أجمل وألطف تمهيد النبي ﷺ، يمهّد لكل درس بما يناسبه، ففي حجة الوداع بدأ بقوله: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض: السنة اثنا عشر شهراً كاملاً، فيها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادي وشعبان، أي شهر هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟
قلنا: بلى.

قال: فأبي بلد هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلد الحرام؟
قلنا: بلى.

قال: فأبي يوم هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟
قلنا: بلى.

قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال: ألا هل بلغت، ألا هل بلغت؟ قلنا نعم، قال: اللهم اشهد»^(١).

بهذا التمهيد الرائع الذي استرعى فيه انتباه السامعين، وأيقظ حواسهم وحفز همتهم ليث تلك الدرر من جوامع الكلم عليه أفضل الصلاة والسلام.

ونراه في صور أخرى يمهّد لعمل الخير فيقول: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(٢)، ومثل ذلك قال في السلام.^(٣)

وفي مقام آخر يمهّد لإلقاء المعلومة، يتألف قلب المتعلم ويؤانسه، فنراه يقول له: «يا معاذ والله إنني لأحبك.

أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: «اللهم أعني على

^(١) - متفق عليه / البخاري: الصحيح - كتاب بدء الخلق - باب في سبع أرضين: ٢٩٢/٦، ومسلم: الصحيح - كتاب القسامة - باب تحريم الدماء والأعراض والأموال: حديث رقم (٢٩).

^(٢) - في المسند: ٢ / ٢٣٥.

^(٣) - أبو داود: السنن - كتاب الوتر - باب الاستغفار: ٤ / ٣٨٤.

ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(١)، وكثيراً ما كان يخاطب ابن عباس وغيره بقوله: «يا غلام إني أعلمك كلمات»^(٢).

ومرة يسألهم بقوله: «أتدرون من المفلس؟

قالوا: "المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ولا متاع"، قال: المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار»^(٣).

هذه بعض الأمثلة التي وردت وغيرها كثير جداً في كلام النبي ﷺ، فمرة عن طريق السؤال ومرة عن طريق الموائسة مع المتعلم، ليضع أرضية لما يريد إلقاءه من الدرس على طلابه والمستمعين إليه.

فعلى المعلم إذاً أن يستفتح الموضوع بفائدة تمهد للدرس، فإذا أقبلوا عليه بدأ بمقصوده.

(١) - أحمد: المسند: ١ / ٢٠٧.

(٢) - أحمد: المسند: ١ / ٢٠٧.

(٣) - الترمذي: السنن - كتاب القيامة - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص: ٧/

المبحث الثالث

إعادة الحديث:

الكلام وسيلة وليس غاية، وبالتالي فالعبرة بالكلام المفيد النافع الذي يستقر في الأذهان، ومن هنا حرصَ النبي ﷺ على إيصال المعلومة إلى طالبيها بشكل واضح لا لبس فيه، وتأكيداً على هذا الأداء كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً.^(١)

واستدل البخاري على ذلك بقوله ﷺ: «ألا وقول الزور، فما زال يكررها وقوله: ألا هل بلغت ثلاثاً»^(٢).

"وهذا من عادة النبي ﷺ أخبر بها أنس عما عرفه من شأن النبي ﷺ وشاهده، وغاية التكرار هنا حتى تُفهم عنه."^(٣)

"وقد لا تكون الثلاث غاية في نفسها، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً"^(٤).

وإعادة الحديث معللة هنا فإذا فهم عنه لمرة واحدة وإلا أعاد حتى يبلغ الثلاث، وغاية الأمر أن يسمع قوله.

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه: ١ /

(٢) - نفس المصدر: ١ / ٢٢٧.

(٣) - ابن حجر: الفتح: ١ / ٢٢٨.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب إعادة الحديث: ١ / ٢٢٨.

ولذلك ترجم البغوي باب إعادة الكلام ليفهم عنه^(١)، أما السلام فالمقصود به الاستئذان ثلاثاً، وخلاصة القول أن العبرة بالسماع والفهم^(٢)، والأمر في ذلك نسبي يختلف باختلاف الأحوال، فكلما كثر العدد كلما تفاوتت الأفهام، بل والآذان فمن حسن أداء النبي ﷺ إيصال ما يريد إيصاله إلى جلسائه ومريديه، هذا وقد ثبت من خلال التجربة أن الإعادة سبب مباشر في حفظ المعلومة أثناء تلقيها، بل وربما تتكشف معاني جديدة عند التكرار.

على أن المسائل تفاوتت، فبقدر ذلك التفاوت يؤخذ بالإعادة أو لا يؤخذ بها، ولعل ما أوده ابن عبد البر من آثار في ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه، تصب في نفس المعنى^(٣)، فالعبرة أولاً وأخيراً في سماع الخبر وفهم المراد.

ومن هنا كان اعتراض عائشة رضي الله عنها على أبي هريرة رضي الله عنه في سرد الحديث خشية عدم إدراك المراد منه حين قالت: "كان رسول الله ﷺ ليحدث الحديث لو شاء العاد أن يحصيه لأحصاه"^(٤).

وعنها أيضاً قالت: "كان كلام النبي ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه"^(٥).

إن مداراة النبي ﷺ وكرمه لأصحابه وشفقته عليهم ورعايته لهم والحرص على إيصال العلم النافع لهم، بل والتأكد من وصوله ورسوخه في أذهانهم، تدعونا معشار المعلمين إلى مراجعة شاملة لتحسين الأداء العلمي حرصاً على إيصال العلم النافع المفيد لأبناء اليوم ورجال الغد.

(١) - شرح السنة - كتاب العلم - باب إعادة الحديث ليفهم عنه: ١ / ٣٠٣.

(٢) - مسلم الصحيح - كتاب الأدب - باب الاستئذان، رقم الحديث: (٢١٥٤).

(٣) - جامع بيان العلم وفضله: ٢ / ١٤٧.

(٤) - أبو داود: السنن - كتاب العلم - باب سرد الحديث: ١٠ / ٨٧.

(٥) - أحمد: المسند: ٦ / ١٣٨.

المبحث الرابع

مقدار الصوت المطلوب:

إن رفع الصوت وخفضه لا يخضع لقاعدة ثابتة، غاية الأمر أن يسمع كلامه على أن غالب أحوال النبي ﷺ الاعتدال، والدليل على ذلك ما ورد في بعض الروايات عن النبي ﷺ أنه رفع صوته بالعلم، وذلك لإسماع الحاضرين، كأن يكونوا كثيرين بعيدين عنه، أو في خطب الجمعة عندما يذكر بأمر هام.

فمن ذلك: رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "تخلف عنا النبي ﷺ في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار»^(١).

والعلة كما ترى لرفع الصوت هو بعد الناس عنه، وغالباً ما يكون رفع الصوت عند الخطبة، وخاصة إذا كان الأمر مهماً يتعلق بتحذير من أمر هام يذكرهم فيه.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب أحمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول صبحكم ومساكم ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين»^(٢).

إذن رفع الصوت يعتبر نادراً، ولا يقع إلا الحاجة تدعو إليه كبعد أو كثرة أو لأمر هام.

أما دروسه ﷺ فكان صوته فيها بقدر حاجة السامعين كذلك لأن أحواله ﷺ كانت قصداً على الدوام.

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب من رفع صوته بالعلم: ١ / ١٧٣.

^(٢) - مسلم: الصحيح - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة: ٢ / ٥٩٢.

المبحث الخامس

الحوار والمناقشة:

الحوار وسيلة مهمة من وسائل الأداء، وهي غاية في الأهمية، خاصة بالنسبة للطالب، لأن فتح باب المناقشة والحوار يزيل كثيراً من العوائق التي تحول دون فهم المسائل، ثم إنه يبعث الثقة في نفس الطالب ويمكنه من اكتساب مهارة مبكرة تجعله صاحب ملكة الأخذ والعطاء والموازنة والترجيح. ولقد أعطى النبي الخاتم الحق لتلامذته في مراجعته ومناقشته، ليكونوا على اقتناع تام فيما يطرح عليهم من مسائل.

ومن صور هذا الحوار والمناقشة: حوار مع السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، حيث كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، كما يصفها التابعي الثقة الصالح ابن أبي مليكة، ومن المسائل التي راجعت النبي ﷺ فيها أنه قال: «ومن حوسب عذب»، قالت عائشة

فقلت: "أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾"، قالت فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك»^(١).

وعنون الإمام البخاري لذلك باباً بعنوان: "من سمع شيئاً فراجع فيه حتى يعرفه".

قال الحافظ ابن حجر: "وفي الحديث ما كان عند عائشة رضي الله عنها

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه: ١ / ٢٣٧.

من الحرص على تفهم معاني الحديث وأن النبي ﷺ لم يتضجر من المراجعة في العلم، وفيه جواز المناظرة ومقابلة السنة بالكتاب^(١).

وقد نما هذا الجانب عند أم المؤمنين، فأصبحت بارعة في معارضة السنة بالكتاب مستدركة على كثير من الصحابة استدراكات معتبرة، ولم يكن ليحصل لها كل ذلك التمكن لولا رعاية النبي المعلم ﷺ، الذي أسس عندها ملكة الحوار والمناظرة أيام الطلب والتحصيل، فأصبحت من المتمرسات في هذا الفن فيما بعد.

ومن الأمثلة على استدراكها على حديث عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه».

قال ابن عباس رضي الله عنه: فلما مات عمر رضي الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها، وكان عمر قد روى هذا الحديث وهو مصاب مانعاً صهيماً من البكاء عليه.

فقالت رضي الله عنها: "رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه» وقالت: "حسبكم القرآن" ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾.

قال ابن عباس: عند ذلك ﴿هُوَ أَضْحَكُ وَأَبْكَى﴾.

قال ابن أبي ملكية: "والله ما قال ابن عمر رضي الله عنه شيئاً"^(٢).

قال الطيبي وغيره: "ظهرت لابن عمر الحجة فسكت مدعناً"^(٣).

(١) - الفتح: ١ / ٢٣٨.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الجنائز - باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه: ٣ / ١٨٠.

هذا وقد اعترضت على أبي هريرة رضي الله عنه في طريقته لأداء الحديث، حيث كان يسرده سرداً^(١)، وقد جمع الزركشي استدراكاتها على الصحابة رضوان الله عليهم في مجلد^(٢).

إن مراعاة هذا الجانب وتنميته عند المتعلمين منذ أيام الطلب ينمي فيهم القدرة على المناقشة والاستدراك، كما حصل من عائشة رضي الله عنها.

ثم إن هناك مسألة ينبغي الإشارة إليها، وهي أن هذا الاستدراك إنما حصل من امرأة، مما يدل على أن مجتمع المدينة قد وصل إلى قمة التحضر في سنوات قليلة، وكل ذلك بجهد النبي ﷺ وأدائه المتميز.

ولعل في مناقشة ضمام بن ثعلبة للنبي ﷺ وحواره معه يعطينا صورة أكثر وضوحاً، خاصة وأن هذا الحوار من رجل مشرك، حيث يقص أنس وهو شاهد عيان فيقول: "بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل علينا رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد؟

والنبي ﷺ متكئ بين ظهرائهم - قلنا هذا الرجل الأبيض - فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد أجبتك فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد عليّ في نفسك.

فقال: سل ما بدا لك.

فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آله بعثك إلى الناس كلهم؟

قال: اللهم نعم.

(١) - الفتح: ٣ / ١٩٠.

(٢) - أبو داود: السنن - كتاب العلم - باب سرد الحديث: ١٠ / ٨٧.

(٣) - اسم الكتاب: الإجابة فيما استدرسته عائشة على الصحابة.

قال الرجل : أنشدك بالله ، الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟

فقال : اللهم نعم .

قال الرجل : أنشدك بالله ، الله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟

فقال : اللهم نعم .

قال : أنشدك بالله ، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها

على فقرائنا ؟

فقال النبي ﷺ : اللهم نعم .

فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا

ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر .^(١)

هذه صورة رائعة من صور الحوار الموضوعي ، وهذه نتيجته ، حيث أسلم الرجل مع قومه ، فما أحوجنا إلى الأخذ بهذا المبدأ ، ليحصل التفاعل الإيجابي بدل التراجع إلى الوراء .

ونموذج آخر من النقاش يقصه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " لما نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ : أينما لم يظلم ؟

فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

إن محاوراة الطالب لمعلمه تسهم إسهاماً كبيراً في تكوين شخصيته ليكون عنصراً فعالاً في المجتمع ، ولقد كون أسلوب النبي ﷺ في الأداء المتميز

^(١) - البخاري : الصحيح - كتاب العلم - باب ما جاء في قول الله تعالى : رب زدني

وإعطائهم الحرية في النقاش والتعبير جيلاً فريداً بحق، لم تشهد له البشرية مثيلاً على الإطلاق.

إن الأداء العلمي اليوم في عالمنا الإسلامي يشهد نقصاً كبيراً في هذا الجانب، ونتيجة هذا النقص تؤدي إلى عدم التكامل في كثير من القضايا التي تحتاج إلى جهد جماعي لحلها.

إن عدم أخذنا بهذا المبدأ الهام في طرح القضايا ومناقشتها يبرز الغرب كنموذج أوحده يقتدى به، مع أن الإسلام مارس هذا المبدأ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، فهل من عودة للاستدراك وتصحيح المسار والاعتزاز بقيمنا وتراثنا؟!.

المبحث السادس

التلطف في الأداء:

الرفق في جميع ما يؤديه الإنسان أمر مرغوب فيه في أصل الفطرة وقد جاء الإسلام وأقره ودعا إليه ، وفي التوجيه القرآني لمحمد ﷺ خير شاهد على ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ ﴾^(١).

وقد أمر النبي ﷺ بالرفق في كثير من الأحاديث ، كقوله ﷺ : «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»^(٢) ، ثم ممارسة النبي ﷺ العملية التي تؤكد هذا المعنى طيلة حياته .

ولعل مالك بن الحويرث وهو أحد الوافدين إلى النبي ﷺ يكشف لنا عن هذا الرفق وهذا التلطف حيث يقول : "أتينا النبي ﷺ ونحن شبيهة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أننا اشتقنا أهلنا ، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه ، وكان رفيقاً رحيماً فقال : ارجعوا إلى أهليكم فاعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم"^(٣).

وكان عليه الصلاة والسلام من تطفه لا يواجه الناس بالعتاب ، وكثيراً ما

(١) - سورة آل عمران: آية: ١٥٩ .

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الأدب - باب الرفق في الأمر كله .

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم: ١٠ / ٤٥٢ .

كان يكني فيقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»^(١)

وقصة تطفه مع الأعرابي الذي بال في المسجد عندما قام الناس إليه ليقعوا فيه فقال لهم: «دعوه . . . إلى أن قال إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»^(٢).

ومن أمثلة تطفه في التعليم ما وقع لمعاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: " بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أماء، ما شأنكم تنظرون إلي، فجعلوا يضربون على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكنني سكت.

فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، بل قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي للتسبيح والتكبير وقراءة القرآن . . . أو كما قال ﷺ.

قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان ؟
قال: فلا تأتهم.

قلت: ومنا رجال يتطيرون ؟

قال: ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصذبهم.^(٣)

(١) - نفس المصدر: باب من لم يواجه الناس بالعتاب: ١٠ / ٥٢٩.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الطهارة - باب ما جاء في غسل البول: ١ / ٣٨٥.

(٣) - مسلم: الصحيح - كتاب المساجد - باب تحريم الكلام في الصلاة: ١ / ٣٨١.

إن هذا التلطف في الأداء العلمي هو الطابع الذي اتسم به الأداء العلمي
لسيد البشر ومعلم الإنسانية محمد ﷺ .

حيث كانت نتيجة ذلك التلطف وتلك المداراة والرفق المتميز في التعليم أن
فتحت آفاقاً جديدة أمام ذلك الرجل ، فاطمأنت نفسه ، وهدأ باله ، وأحب
معلمه فبدأ يسأل عن أمور دينه وعقيدته ، وما موقفه مما يراه من قومه . .

فيسمع الجواب الشافي من فم المصطفى ﷺ بنهيه عن ذلك ولم يتعرض
لسب قومه أو التنقيص منهم لأنه ﷺ رحيمٌ بهم كما هو رحيم بمن صلى
خلفه وعلمه ، وأرشده .

ولا بأس من الإشارة إلى حسن مظهره عليه الصلاة والسلام ، من لبسه
البياض وتسريح اللحية ومسه الطيب ، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : "
كان يعرف بريح الطيب إذا أقبل^(١) عليه أفضل الصلاة والسلام "

(١) - السيوطي: الجامع الصغير: ٥ / ٢٣٣ .

المبحث السابع

الغضب عند الأداء:

سبق وأن أشرت إلى تلاففه في الأداء وهو الأصل، وكان لا يغضب إلا لمعنى يريد تثبيته في نفوس أصحابه عن طريق الزجر.

فعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البصري رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا: فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ وقال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأياكم أم الناس فليؤجز، فإن من وراءه الكبير والصغير وذا الحاجة».

وقد عنون الإمام البخاري لذلك باباً فقال: "باب الغضب في الموعظة والتعليم" (١).

واشتد غضبه على معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما صلى بالناس فقراً بهم البقرة وقال: «يا معاذ، أفأتان أنت ثلاثاً: اقرأ والشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها» (٢).

وغضب عندما سأل رجل عن ضالة الإبل وعلمه (٣)، وشق عليه عندما

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب الغضب في الموعظة والتعليم: ١ / ١٨٦.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الأدب - باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً: ١ / ٥٣٢.

(٣) - نفس المصدر: باب ما يجوز من الغضب والشدة: ١٠ / ٥٣٤.

رأى نخامة في المسجد وحكّها بيده الشريفة وأرشدهم^(١).

هذا ويمكن أن نستنتج من ذلك أن الأصل في دروسه التلطف، وأن الغضب لا يقع إلا نادراً، ثم إن الغضب لا يقع منه ﷺ إلا على من عرفه وخالطه، أما الغرباء فالأصل في تعليمهم الانبساط والتلطف والرفق، وإنها والله لحكمة المعلم الماهر بأحوال المتعلمين وما يصلح لهم.

^(١) - نفس المصدر: ١٠ / ٥٣٣.

المبحث الثامن

جدولة الأداء العلمي:

الأداء العلمي فن يحتاج إلى مهارة ومعرفة عالية لكونه موجهاً إلى عنصر آخر يتحمل هذا العلم المؤدى إليه ، فينبغي التفكير في ذلك العنصر ومراعاة أحواله إقبالاً وإدباراً، نشاطاً وكسلاً حتى يستقر العلم في الأذهان وتدركه الأفهام دون ملل ولا ضجر.

والنبي المعلم ﷺ هو أعرف الناس بالخلق، فقد كان يراعي في طلابه كل ذلك، فسلك مسلك التخول في الموعظة، وهذا المنهج هو الصواب، لأن المعلم الناجح لا يقاس نجاحه بكثرة ما يؤدي من معلومات، لكن نجاحه مرهون بمقدار ما استقر في الأفهام من تلك المعلومات، لذلك ومراعاة لهذه القضية كان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة، مخافة السامة عليهم والتخول هو: "التعهد" والسامة هي "الملل".^(١)

قال ابن حجر: "ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة على الجد في العمل الصالح خشية الملل، وإن كانت المواظبة مطلوبة، لكنها على قسمين:

١- إما كل يوم مع عدم التكلف.

٢- وإما يوم بعد يوم.

فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وأما يوم

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا: ١ / ١٩٥.

الجمعة فيختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، والضابط هو الحاجة مع مراعاة النشاط^(١) .

هذا وقد سلك هذا المسلك الصحابي الجليل : الفقيه ابن مسعود رضي الله عنه عندما جعل لطلابه أياماً معلومة محددة ، حيث كان درسه كل خميس فقال له أحد تلاميذه ، لو ذكرتنا كل يوم ، فأجابه " أما إنه ليمنعني من ذلك أني أكره أن أملككم ، وإني أتخولكم بالموعدة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السامة علينا"^(٢) .

وعنون الإمام البخاري لفعل ابن مسعود رضي الله عنه فسماه : "باب الموعدة ساعة بعد ساعة" ، مستدلاً بحديث شفيق بن عبد الله قال : "كنا ننتظر عبد الله ، إذ جاء يزيد بن معاوية ، قلت ألا تجلس ؟ قال : لا ولكن أدخل فأخرج إليكم صاحبكم ، وإلا جئت أنا فجلست فخرج عبد الله وهو آخذ بيده ، فقام علينا فقال : أما إني أخبر بمكانكم ولكنه يمنعي من الخروج إليكم أن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعدة كل الأيام كراهية السامة علينا"^(٣) .

وممن سلك هذا المسلك كذلك : حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه ، حيث يوصي عكرمة بأن يأخذ بنفس المنهج حيث يقول له : "حدث الناس كل جمعة مرة ، فإن أبيت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاث مرات ، ولا تُمل الناس هذا القرآن ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم ، فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن أنصت ، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه"^(٤) .

(١) - فتح الباري : ١ / ١٩٦ .

(٢) - البخاري : الصحيح - كتاب العلم - باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة : ١ / ١٩٧ .

(٣) - البخاري : الصحيح - كتاب الدعوات - باب الموعدة ساعة بعد ساعة : ١١ / ٢٣١ .

(٤) - نفس المصدر : باب ما يكره من السمع في الدعاء : ١١ / ١٤٢ - ١٤٣ .

ويبدو أن هذا المنهج كان متأسلاً في الصحابة، وقد عرفوه معرفة معاشية بين يدي النبي ﷺ، ومما يدل على رسوخ هذه الطريقة أن أخذ بها عالمان جليلان لهما قدم راسخة في الفقه والرواية، وكل منهما صاحب مدرسة مشهورة.

ولابن مسعود تفصيل حسن يدل على استيعابه لطرق الأداء وأساليبه ومعرفته بأحوال الطلبة، حيث يوصي المعلمين فيقول: "حدث القوم ما حذكوك بأبصارهم وأقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت عنك قلوبهم فلا تحدثهم، قيل: وما علامة ذلك؟

قال: إذا التفت بعضهم إلى بعض ورأيتهم يتشاءبون فلا تحدثهم" (١).

ولأم المؤمنين عائشة وصية لتلميذها التابعي الثقة عبيد بن عمير تقول فيها: "ألم أحدث أنك تجلس ويجلس إليك؟

قال: بلى يا أم المؤمنين. قالت: فأياك وإملا ل الناس وتقنيطهم، اقصص يوماً واترك يوماً ولا تمل الناس" (٢).

إن هذا التوجيه من السيدة عائشة لم يأت من فراغ، إنما هو نتيجة طبيعية لمنهج تعليمي ناضج يراعي أحوال التلاميذ، ويجتهد غاية الاجتهاد في تخير الأوقات المناسبة، مع ضمان الدوام وعدم الانقطاع، ويشهد لهذا المعنى قول الزهري: "روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة" (٣).

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: "اجمعوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان" (٤).

(١) - البغوي: شرح السنة: ١ / ٣١٣ - ٣١٤.

(٢) - نفس المصدر: ١ / ٣١٤.

(٣) - ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله: ١ / ١٢٦.

(٤) - ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله: ١ / ١٢٦.

وقال بعض الأدباء: "نشاط القائل على قدر فهم المستمع"^(١).
 وقال ابن مسعود: "إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة
 وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها ودعوها عند فترتها وإدبارها"^(٢).
 ولأبي العالية وصية ثمينة، حيث يقول: "حدث القوم ما حملوا - قيل
 له: وما حملوا؟ - قال ما نشطوا"^(٣).

وبعد فينبغي الاستفادة من هذا المنهج الذي سار عليه النبي ﷺ في تعليمه
 لأصحابه، وورثه الصحابة من بعده، وأوصوا تلامذتهم بالأخذ به.
 وإذا كان هذا المنهج في صدر الإسلام والقرون الفاضلة متبعاً خوفاً على
 التلاميذ من الملل، فهو اليوم أكد لما نرى من العزوف عن طلب العلم
 الشرعي وتحصيله، وتشتت الذهن بكثرة المشاغل وتشعب القضايا، والمعلم
 هو الأداة الفاعلة وصاحب التأثير في طلابه ومريديه بحسن أدائه، واستيعابه
 لفن التعامل مع أبنائه.

إن اتباع منهج النبي ﷺ في قضية التحويل بالموعظة يضمن حب الطلب
 والاستزادة من العلم، والاستمرار في التحصيل، وبهذا يورث العلم وتراكم المعرفة.
 لقد سبق الإسلام الأنظمة التعليمية الحديثة في جدولة الدروس وتنظيم
 أوقات الدراسة بحسب الظروف والأحوال والمستويات.

(١) - الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١ / ٣٣٠.

(٢) - نفس المصدر: ١ / ٣٣١.

(٣) - نفس المصدر: ١ / ٣٣١.

المبحث التاسع

التدرج في التعليم:

إن التدرج سنة من سنن الله تبارك وتعالى في الكون والحياة، وقد أخذ الإسلام بمبدأ التدرج في كل قضاياه، وفي مقدمة هذه القضايا، قضية التعليم ولذلك نجد الصحابي الجليل عبد الله بن عباس يضع قاعدة ذهبية في مسألة التدرج فيقول: "كونوا ربانيين حكماء فقهاء، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره"^(١).

وهذه القاعدة مستفادة من منهج النبي ﷺ الذي كان يراعي أحوال السامعين ومستوياتهم وقدرتهم على الاستيعاب والفهم، ولذلك عقد البخاري في صحيحه باباً بعنوان: "من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه".

واستدل على ذلك بحديث الأسود بن يزيد النخعي قال: "قال لي ابن الزبير: كانت عائشة رضي الله عنها تسر إليك كثيراً فما حدثته لك في الكعبة؟ قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ: "يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم - قال الزبير - بكفر - لنقضت الكعبة فجعلت لها بايين: باب يدخل الناس وباب يخرجون، ففعله ابن الزبير"^(٢).

ففي الحديث الكف عن بعض العلم خشية عدم الفهم، ولذلك أسر به

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب العلم قبل القول والعمل: ١ / ١٩٢.

^(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب ترك بعض الاختيار: ١ / ٢٧١.

لعائشة لمقدرتها على الفهم والاستيعاب.

وعقد الإمام البخاري لذلك عنواناً فقال: "باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا." واستدل على ذلك بقول علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟" (١).

قال ابن حجر: "والمراد بقوله بما يعرفون: أي يفهمون، ودعوا ما ينكرون أي يشبهه عليهم فهمه، وفيه دليل على أن التشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة" (٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدث الناس حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" (٣).

وفي حديث النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه في قول لا إله إلا الله - قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟

قال: إذا يتكلموا (٤)، وهذا المنع من النبي ﷺ إنما هو مراعاة لأحوال الناس، ولذلك يعلمنا قاعدة اختيار الحديث المناسب لأحوال السامعين، وليس من الضروري أن يحدث العالم بكل ما عنده من العلم حيث قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» (٥).

ومراعاة لمسألة التدرج، نهى النبي ﷺ عن الأغلوطات، وهي شداد المسائل وصعابها (٦)، وصح عنه ﷺ قوله: «إنما العلم بالتعلم» (٧).

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب من خص بالعلم قوماً دون قوم: ١ / ٢٧٢.

(٢) - فتح الباري: ١ / ٢٧٢.

(٣) - مسلم: الصحيح - المقدمة - باب النهي عن الحديث بكل ما سمع: ١ / ١١.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب من خص بالعلم قوماً دون قوم: ١ / ٢٧٢.

(٥) - مسلم: الصحيح - المقدمة - باب النهي عن الحديث بكل ما سمع: ١ / ١٠.

(٦) - أحمد: المسند: ١ / ١٦٠.

وتحقيقاً لسنة التدرج يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو يبين منهج الصحابة في تحمل القرآن من النبي ﷺ فيقول: "إنهم كانوا يأخذون من رسول ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قال فيعلمنا العلم والعمل"^(٢).

ورسم النبي ﷺ لمعاذ منهج التدرج في تعليمه أهل اليمن حين قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم... الحديث»^(٣).

وبهذا التدرج نجد أن معاذاً نجح في مهمته التعليمية في اليمن، ولولا ذلك لأعرض الناس عنه، ويتأكد هذا المنهج ليأخذ اللاحق من السابق ليصبح من السمات البارزة في أداء العلم وتبليغه، فوجد التابعي الثقة الإمام ابن شهاب الزهري رحمه الله يوصي أحد تلامذته بقوله: "يا يونس، لا تكابر العلم، فإن العلم أودية، فأبها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي"^(٤).

إن التدرج مع الطلاب ومراعاة مستوياتهم العلمية وقدراتهم العقلية لهو النصيح بعينه وهو الطريق الوحيد لرسوخ الطالب وارتقائه في سلم المعرفة.

^(١) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ١ / ١٦٥.

^(٢) - نفس المصدر: ١ / ١٧٠.

^(٣) - مسلم: الصحيح - كتاب الإيمان - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام: ١ / ٥٠.

^(٤) - ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله: ١ / ١٢٥.

وبهذه الطريقة، علم النبي ﷺ الصحب الكرام، فبلغ علمهم الآفاق
وتتابع التعليم وبنفس الطريقة يورثه السابق إلى اللاحق، مضيفاً إليه ما
يناسب الزمان والمكان.

وبذلك يكون النبي ﷺ هو أول من بدأ التعليم المرحلي المتدرج.
قبل أن تعرفه أنظمة التعليم الحديثة بمراحلها ومناهجها.

المبحث العاشر

الأداء العلمي عن طريق إجابة السؤال:

لقد شكلت الأجوبة التي أجاب عنها النبي ﷺ من خلال أسئلة تلامذته من الصحابة الكرام قدراً وافراً من العلم والمعرفة ، وقد عرفنا عن طريق هذه الأسئلة كثيراً من الأحكام التفصيلية وتعطينا طريقة النبي ﷺ في الجواب وتعامله مع السائلين على اختلاف أحوالهم زاداً لا يُستغنى عنه في مجال الأداء العلمي .

ومن صور هذه الأجوبة: إجابة السائل بأكثر مما سأل ، وذلك في جوابه لرجل سأل: وما يلبس المحرم ؟

فقال: «لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوباً مسه الورس أو الزعفران ، فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين ، وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين»^(١) ، وهذا أسلوب في غاية الحسن حيث يوفر للسائل جواباً شاملاً لجوانب القضية التي قد يحتاج إليها .

ومن صور الأجوبة على السائل أن يجيب بإشارة اليد أو الرأس ، فعندما سئل في حجته عن تقديم الذبح على الرمي والحلق قبل الذبح ، أومأ بيده وقال: «لا حرج»^(٢) .

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب ما جاء في إجابة السائل بأكثر مما

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد أو الرأس: ١ / ٢١٨ .

وصورة أخرى من الأسئلة، وهي الأسئلة التقريرية، فنرى النبي ﷺ يرحب بالسائل ويكرمه كما حدث لضمَام بن ثعلبة.^(١)

ونراه يعلم السائل أدب السؤال حينما سألَه أثناء إلقاءه الدرس فيؤخر الجواب إلى حين انتهاء الدرس ليحييه.

وعنون الإمام البخاري رحمه الله لذلك باباً فقال: "من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل".^(٢)

ونرى هنا أن النبي ﷺ أخر الإجابة لأن السؤال من الأمور التي ليست معرفتها على الفور مهمة، ولذلك أخرجوا بها والمسألة كانت متى الساعة^(٣).

أما إذا كان السؤال مهماً فكان النبي ﷺ يقطع حديثه ليحيب السائل كما في حديث أبي رفاعه أنه قال للنبي ﷺ وهو يخطب: "رجل غريب لا يدري دينه جاء يسأل عن دينه، فترك النبي ﷺ خطبته وأتى بكرسي فقعد عليه فجعل يعلمه، ثم أتى خطبته فأتم آخرها".^(٤)

وهذه صورة رائعة من صور الرعاية من قبل المعلم الذي يدرك مهمته ومسؤوليته، ويحدث أنس عن مشاهداته فيقول: "كانت الصلاة تقام فيعرض الرجل فيحدث النبي ﷺ حتى ربما نعس بعض القوم ثم يدخل الصلاة".^(٥)

(١) - نفس المصدر: باب ما جاء في العلم: ١ / ١٧٩.

(٢) - نفس المصدر: ١ / ١٧١.

(٣) - من سأل علماً وهو مشغول في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل: ١ / ١٧١، وانظر شرح الحديث في الفتح: ١ / ١٧٢.

(٤) - مسلم: الصحيح - باب حديث التعليم في الخطبة: ٢ / ٥٩٧.

(٥) - فتح الباري: ١ / ١٧٢.

ولعل صوراً أخرى تعكس مدى الاستيعاب لأحوال السائلين وما يشغلهم، فوجد السؤال واحداً والأجوبة مختلفة، وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام أجاب كل سائل ما ينقصه - فترى سائلاً يسأله: أي الإسلام أفضل فيجيبه: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١).

وآخر يسأله: "أي الإسلام خير، فيجيبه: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(٢).

وثالث: أي العمل أفضل: «قال الصلاة في وقتها وبر الوالدين والجهاد»^(٣).

وغير ذلك من الأمثلة كثير.

إن هذه الذخيرة وهذا الكنز الثمين المتمثل في جانب من جوانب الأداء العلمي ليضعنا أمام مسؤولية عظيمة، ألا وهي رعاية أرباب الأسئلة وتعليمهم، بل والتعرض لهم قبل السؤال.

فكم من صاحب مسألة يمنعه الحياء أو الكبر من عرض سؤاله، فإذا وجد إقبالاً من المعلم وإخلاصاً استراحت نفسه، وهدأ باله، وألقى ما عنده، ليجد الجواب ويستريح من المعاناة.

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب أي الإسلام أفضل: ١ / ٧٠.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب إطعام الطعام الإسلام: ١ / ٧١ - ٧٢.

(٣) - أحمد: المسند: ١ / ٢١٥.

المبحث الحادي عشر

ضرب الأمثلة:

المثال في الدرس يقرب المعنى ويوضح المراد، والذي نلاحظه أن النبي ﷺ قد اهتم بهذا الفن، وقد شكلت الأحاديث التي كان يلقيها على الصحابة مقرونة بالمثال قدرأ وافرأ.

وكتب السنة زاخرة بتلك الأمثلة، فمنها قول النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

ومنها: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢). ومثل ثالث في قوله: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب فضل من علم وعلم: ١ / ٢١١.

(٢) - مسلم: الصحيح - كتاب البر والصلة - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم: ٤ / ١٩٩٩.

به ويتعجبون منه ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين^(١).

إن هذا الأسلوب الرائع في البيان وهذه البلاغة النبوية التي نطق بها من أوتي جوامع الكلم، لتلقي الضوء على جانب مهم من الأداء الذي لا يستغني عنه معلم، ألا وهو ضرب الأمثلة التي تسهم في تقريب المعنى وترسيخه في أذهان الطلاب.

- وخاصة النشء الذي يمل من سرد الحديث.

^(١) - نفس المصدر - كتاب الفضائل - باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين: ٤ / ١٧٩١.

المبحث الثاني عشر

القصص:

القصص أسلوب شيق تميل النفس إليه، وخاصة في مثل بيئة العرب في الجزيرة العربية، ولذلك نجد أن القرآن الكريم قد غطى هذا الجانب ووظفه عقائدياً ودعويّاً وتربوياً.

ولذلك وصف الله عز وجل القصص بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

أما السنة النبوية فملئية بالقصص الذي كان النبي ﷺ يقصه على أصحابه في حلقات العلم إدراكاً منه ﷺ بتأثيره في نفوس أصحابه. ويتميز القصص النبوي بمصادقته:

أولاً: لأن صاحبه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

وثانياً: ببلاغته وورصاته، ولا غرابة في ذلك فقد أوتي جوامع الكلم.

وثالثاً: أنه هادف، لأنه يعبر عن فكرة ورسالة ذات هدف محدد.

ومن ثمَّ فالقصص النبوي احتوى على درر من الفوائد العقدية والتربوية والدعوية والتاريخية وفوائد أخرى، وكمثال أعرض لنموذج واحد من هذا القصص وهي قصة موسى والخضر، وذلك لصلتها بالعلم وأدائه مع تحمل المشقة في طلبه:

عن أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما موسى في

ملاً من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟

فقال موسى: لا. فأوحى الله إلى موسى: بلى، عبدنا خضر.

فسأل موسى السبيل إليه فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، وكان يتبع أثر الحوت في البحر، فقال موسى لفتاه أرأيت إذ أؤينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، قال: ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً، فوجدا خضراً فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه^(١).

وفي القصة الكثير من الفوائد والعبر والأحكام أشير إلى بعضها وهي:

١- ورد في باب " ما ذكر في ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام إلى الخضر..... " ، هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم لأن ما يعتبط به تحمل المشقة فيه ، ولأن موسى عليه السلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البر والبحر لأجله، الفتح: ١٦٨/١ - فناسب الباب الذي قبله: باب الاغتياب في الحكمة والعلم وقول عمر: "تفقهوا قبل أن تسودوا"، قال أبو عبد الله: "وبعد أن تسودوا".

٢- التعلم قبل السيادة التي قد تكون مانعة من التعلم بسبب الكبر والاحتشام، أن يجلس الرئيس بين المتعلمين، أو غير ذلك من المشاغل، لكن الأصل أن السن والسيادة لا تمنع من التفقه وطلب العلم: انظر الفتح: ١ / ١٦٦.

٣- ناسب الحديث الباب قبل السابق وهو باب " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين "، فالأنبياء يحتاجون إلى علم، وما سادوا إلا بالعلم، وسلطان العلم أقوى من سلطان النبوة: الفتح: ١ / ١٦٤.

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام في البحر إلى الخضر: ١ / ٢٠٢.

- ٤- جواز التجادل بالعلم إن كان بغير تعنت: الفتح: ١ / ١٦٩ .
- ٥- الرجوع إلى أهل العلم عند التنازع: الفتح: ١ / ١٦٩ .
- ٦- العمل بخبر الواحد الصدوق: الفتح: ١ / ١٦٩ .
- ٧- ركوب البحر في طلب العلم، بل في طلب الاستكثار منه: الفتح: ١ / ١٦٩ .
- ٨- مشروعية حمل الزاد في السفر: الفتح: ١ / ١٦٩ .
- ٩- لزوم التواضع في كل حال: الفتح: ١ / ١٦٩ .
- ١٠- حرص الأمير على طلب التعلم تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه: الفتح: ١ / ١٦٩ .
- ١١- التنبية لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع: الفتح: ١ / ١٦٩ .
- ١٢- ورد الحديث في باب " ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله " الفتح: ١ / ٢١٧ .
- ١٣- أن العالم إذا كان عنده علم بشيء فسمع غيره يذكر شيئاً بغير علم أن يكذبه: الفتح: ١ / ٢١٩ .
- ١٤- العتب من الله تعالى محمول على ما يليق به، لا على معناه الحرفي الفتح: ١ / ٢١٩ .
- ١٥- التحذير في الدعوى في العلم، والحث على قول العالم: (لا أدري) وليس قول موسى أنا أعلم كقول آحاد الناس مثل ذلك، ولا نتيجة قوله قولهم، فإن نتيجة قولهم العجب والكبر ونتيجة قوله المزيد من العلم، والحث على التواضع، والحرص على طلب العلم، الفتح: ١ / ٢٢٠ .

١٦- لا يجوز الاعتراض بالعقل على الشرع، لأن موسى إنما اعترض بظاهر الشرع لا بالعقل المجرد: الفتح: ١ / ٢٢٠.

١٧- قوله " أنى لك هذا " دليل على أن الأنبياء ومن دونهم لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله: الفتح: ١ / ٢٢٠.

١٨- أن الله عز وجل يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه ما يشاء مما ينفع أو يضر فلا مدخل للعقل في أفعاله، ولا معارضة لأحكامه، بل يجب على الخلق الرضى والتسليم. الفتح: ١ / ٢٢٠.

١٩- الشرائع جاءت تأمر بالحسن وتنهى عن القبيح، ولكن لا يترتب الثواب والعقاب على ذلك إلا بعد بلوغ الشرع، ومع هذا فما حسنه الشرع فهو بالثناء عليه حسن وما قبحه بالذم فهو قبيح، وإن لله فيما يقضيه حكماً وأسراراً في مصالح خفية، اعتبرها بمشيئة الله وإرادته من غير وجوب عليه ولا حكم عقل يتوجه إليه، بل بحسب ما سبق من علمه ونافذ حكمه: الفتح: ١ / ٢٢١.

٢٠- امتحان الله لأتباعه لأجل الاعتبار " وإنما كانت قصة الخضر مع موسى امتحاناً لموسى ليعتبر " : الفتح: ١ / ٢٢١.

٢١- التأمل في الحديث بعد معرفة أسباب أفعال الخضر، أن الأحكام معللة " فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء منه ما يناقض الشرع: الفتح: ١ / ٢٢٢.

٢٢- يستفاد من الحديث الثاني في الإنكار عند المحتملات: الفتح: ١ / ٢٢٢.

٢٣- ورد في باب " إذا استأجر أجيراً على أن يقيم حائطاً يريد أن ينقض جاز... " ، " وإنما يتم إذا قلنا إن شرع من قبلنا شرع لنا لقول موسى لو شئت لاتخذت عليه أجراً " . وقصد البخاري أن الإجارة

تضبط بتعيين العمل كما تضبط بتعيين الأجل: الفتح: ٤ / ٤٤٥.

٢٤- ورد في باب " الشروط مع الناس بالقول " إذ إن قوله: " ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً " كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً، والشرط هو قول موسى " إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ": الفتح: ٥ / ٣٢٦.

٢٥- ورد في كتاب بدء الخلق في باب " صفة إبليس وجنوده " مع عدة أحاديث أخرى: الفتح: ٦ / ٣٣٦.

٢٦- ورد في باب " حديث الخضر مع موسى عليهما السلام " من كتاب أحاديث الأنبياء من أهم أدلة موته: قوله ﷺ: " لا يبقى على وجه الأرض بعد مئة سنة ممن هو عليها اليوم أحد " وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَّا يَنْتَفَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ، وقوله تعالى: ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ﴾ ، وقوله ﷺ: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد»، وقوله: «رحم الله موسى لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما»: الفتح: ٦ / ٤٣٤.

ومن أهم أدلة نبوته:

- قوله: " وما فعلته عن أمري " .

- اتباع موسى له ليتعلم منه .

- إطلاق أنه أعلم من موسى .

- إقدامه على عكس قواعد الشرع، الفتح: ٨ / ٤٢٢.

٢٧- ورد في كتاب التفسير باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿١٠﴾ زماناً وجمعه أحقاب الفتح: ٨ / ٤٠٩.

٢٨- ورد في نفس الكتاب باب ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ ﴿١١﴾ مذهباً، يسرب: يسلك، ومنه: ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾
الفتح: ٨ / ٤١٠.

٢٩- فيه جواز قول العالم سلوني (ومحلّه إذا أمن العجب ، أو دعت
الضرورة إليه كخشية نسيان العلم) : الفتح: ٨ / ٤١٢ .

٣٠- جواز قول المسلم لغيره (جعلني الله فداك) خلا لمن منعه:
الفتح: ٨ / ٤١٢ .

٣١- فيه أن الواعظ إذا أثر وعظه في السامعين ، فخشوا وبكوا ينبغي أن
يخفف لثلاثاً يملوا: الفتح: ٨ / ٤١٤ .

٣٢- يستفاد من الرواية أن الحوت كان ميتاً ، لأنه لا يلمح وهو حي ،
ومنّه تعلم الحكمة في تخصيص الحوت دون غيره من الحيوانات لأن
غيره لا يؤكل ميتاً ولا يرد بالجراد لأنه قد يفقد وجوده لا سيما بمصر:
الفتح: ٨ / ٤١٤ .

٣٣- استحباب الحرص على الازدياد من العلم ، والرحلة فيه : الفتح:
٨ / ٤٢٢ .

٣٤- استحباب لقاء المشايخ وتجشم المشاق في ذلك : الفتح: ٨ / ٤٢٢ .

٣٥- الاستعانة على طلب العلم بالاتباع : الفتح: ٨ / ٤٢٢ .

٣٦- جواز إطلاق الفتى على التابع : الفتح: ٨ / ٤٢٢ .

٣٧- جواز استخدام الحر ، الفتح: ٨ / ٤٢٢ .

٣٨- وجوب طوعية الخادم لمخدومه : الفتح: ٨ / ٤٢٢ .

٣٩- عذر الناس ، الفتح: ٨ / ٤٢٢ .

- ٤٠- قبول هبة من غير المسلم: الفتح: ٨ / ٤٢٢ .
- ٤١- جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما مما لا يعارض منصوص الشرع: الفتح: ٨ / ٤٢٢
- ٤٢- الإغضاء عن بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد على ألا يخالف النص: الفتح: ٨ / ٤٢٢ .
- ٤٣- إفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها للتمييز، ما لم يخالف منصوص الشرع: الفتح: ٨ / ٤٢٢
- ٤٤- مصالححة السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعة ما لم يخالف منصوص الشرع: الفتح: ٨ / ٤٢٢ .
- وبعد فهذه القصة نموذج فريد من القصص النبوي احتوت على جملة معان غطت جوانب متعددة من فروع العلم وفنونه والقصص في كتب السنة كثير جداً وصحيح في نفس الوقت يمكن اعتماده والاستفادة منه دعوياً وتربوياً.

المبحث الثالث عشر

الامتحان:

الاختبار من الوسائل المهمة لمعرفة مستوى الطالب ومقدار فهمه، ولأهمية الاختبار لم يهمله النبي ﷺ وبصور بسيطة وغير متكلفة، وعنون الإمام البخاري رحمه الله لواحد من هذه الاختبارات فقال: "باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم" وأورد حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي، قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟

قال: النخلة.

قال عبد الله: فذكرت ذلك لعمر، فقال لأن تكون قلت: هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا»^(١).

والذي نلاحظه أن السؤال لم يكن غامضاً، وأنه كان في شيء نافع، وأن السؤال تضمن مقدمة تشعر الطالب بالأنس، فهو أحسن من السؤال المباشر وبهذا يستحق هذا السؤال أن يكون سؤالاً نموذجياً.

ولذلك ينبغي البعد عن الأسئلة التعجيزية الغامضة، لأنها غير نافعة، وربما

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب طرح المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم: ١ / ١٧٨.

ليس لها نصيب من الواقع ، ولهذا جاء نهي الصحابة عن الأغلوطات.^(١)
وهناك أسئلة أخرى ، فردية وجماعية كان النبي ﷺ يلقيها على تلاميذه
منها : «ما تعدون الرقوب فيكم؟

قلنا: الذي لا يولد له ، قال : ليس ذلك بالرقوب ، ولكنه الرجل الذي لم
يقدم من ولده شيء» قال : «فما تعدون الصرعة فيكم ؟
قلنا: لا يصرعه الرجال ، قال : ليس بذلك ، ولكنه الذي يملك نفسه عند
الغضب»^(٢).

نموذج رائع من الأسئلة ، والأروع منها أجوبته عليها عليه أفضل الصلاة
والسلام.

ونموذج آخر من الأسئلة في قوله : «ما تعدون الشهيد فيكم ؟
قالوا يا رسول الله : من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال : إن شهداء
أمتي إذا قليل ، قالوا : فمن هم يا رسول الله ؟

قال : من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد
ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات بالحمى فهو شهيد»^(٣).

وسؤال آخر يوجهه إلى وفد عبد القيس بعد أن رحب بهم وعلمهم وقبل
مغادرتهم قال لهم : «هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال :
شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم

(١) - البغوي : شرح السنة : ١ / ٣٠٨ .

(٢) - مسلم : الصحيح - كتاب البر والصلة والآداب : ٤٠ / ٢٠١٤ .

(٣) - مسلم : الصحيح - كتاب الإمارة - باب بيان الشهداء : ٣ / ١٥٢١ .

رمضان... الحديث، وقال احفظوه وأخبروا من ورائكم»^(١).

إن أسئلة الامتحان في نظر النبي ﷺ لم تكن لاكتشاف المعرفة من عدمها، بقدر ما كانت أداة فاعلة لتحمل العلم وتحصيله، فهو عليه أفضل الصلاة والسلام يسأل ولا يعنف، بل يجيب برفق ولطف.

وليتنا نقتبس هذا المعنى في إجراء الامتحانات ليكون الامتحان فاعلاً، وأداة لتحصيل العلم واكتساب المعرفة.

(١) - مسلم: الصحيح - كتاب الإيمان - باب الأمر بالإيمان: ١ / ٤٨ .

الفصل الرابع

نظام التعليم : وفيه مبحثان

المبحث الأول: نظام التعليم وكيفيته، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المسجد النبوي.

المطلب الثاني: جامعة الصفة.

المطلب الثالث: المساجد الأخرى.

المطلب الرابع: أماكن متفرقة.

المبحث الثاني: أوقات التعليم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفترة الصباحية.

المطلب الثاني: عقب الصلوات.

المطلب الثالث: أوقات متفرقة.

الفصل الرابع

نظام التعليم

تمهيد

سبقت الإشارة إلى مكانة العلم، وأنه مقدم على العمل، بل لا يعتبر قول ولا عمل بدون علم، قال الإمام البخاري رحمه الله: "باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وإذا كانت هذه منزلة العلم فلا بد من نظام تعليمي مناسب يتمكن فيه الطلاب من الدراسة وتحصيل العلم، وقد كان نظام الدراسة هو نظام الحلقات ولا بد من وجود أماكن لهذه الحلقات، وكذلك الأوقات، فالمكان والزمان عنصران أساسيان في نجاح أي نظام تعليمي، ولذلك سوف أتحدث عن النظام التعليمي في عصر السيرة من خلال هذين العنصرين.

^(١) - البخاري: الصحيح: ١٠ / ١٩٢. والآية: ١٩ من سورة محمد.

المبحث الأول

أماكن التعليم وكيفية

المطلب الأول: المسجد النبوي:

إن أول عمل قام به النبي ﷺ عندما قدم إلى المدينة المنورة هو بناء المسجد، ولم يكن لأداء الصلاة فقط، فالصلاة عمل، ولا بد لها من علم سابق عليها، ومكان ذلك حلقات العلم في المسجد النبوي التي كان ﷺ يباشر التعليم فيها ويشرف على البعض الآخر.

وتشير الروايات إلى أن أكثر حلقات العلم والتدريس كانت في المسجد النبوي كما كانت تقام فيه الصلوات الخمس.

وكثيراً ما كان النبي ﷺ يحدثهم بعد انتهاء الصلاة، فعن العرياض بن سارية قال: "صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً... الحديث»^(١).

وكذلك خطب الجمعة التي كان يلقيها عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي يوم من الأيام تحدث إليهم طول اليوم، قال أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه: "صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى حضرت العصر،

(١) - الدارمي: السنن - باب اتباع السنة: ١ / ٤٤.

فنزل فصلى حتى غربت الشمس، فأخبرنا ما كان وما هو كائن، فأعلمنا
أحفظنا".^(١)

هذا وقد حث عليه الصلاة والسلام على ارتياد مسجده للتعليم حيث
قال: «من جاء مسجدي هذا لم يأت به إلا خير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة
المجاهد في سبيل الله»^(٢).

هذا وقد كان النبي ﷺ يباشر التعليم بنفسه، ويرأس تلك الحلقات في
أغلب الأحيان، فعن أبي واقد الليثي: "أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في
المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر... الحديث".

وقد عنون الإمام البخاري لذلك باباً فقال: "باب من قعد حيث ينتهي به
المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها".^(٣)

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه: "كنت أنا وجار لي من الأنصار
تتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فينزل يوماً، فإذا نزلت
جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"^(٤).

ومعلوم أن النزول كان إلى المسجد النبوي حيث حلقات الدرس
ومجالس العلم، هذا ولم تشر الروايات إلى عدد من كانوا يحضرون حلقة
الدرس، إلا أن قصة طلحة وأم سليم في إطعام النبي ﷺ وأصحاب الحلقة

(١) - مسلم: الصحيح - كتاب الفتن - باب إخبار النبي ﷺ إلى قيام الساعة: ٤ / ٢٢١٦.

(٢) - ابن ماجه: السنن - المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم:
١ / ٨٣ - ٨٤.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم: ١ / ١٨٨.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب التناوب في العلم: ١ / ٢٢٣.

تشير إلى أن عددهم ما بين سبعين إلى ثمانين رجلاً.^(١)

وهذا العدد ليس ثابتاً، فربما يزيد أو ينقص بحسب الظروف والأحوال خاصة أن المدينة كانت تعيش حالة دعوة وجهاد.

المطلب الثاني: جامعة الصفة:

"هي مكان يقع في مؤخرة المسجد النبوي، أمر النبي ﷺ به فظلل أو سقف، وأطلق عليه اسم الصفة أو الظلة، ولم يكن لها ما يستر جوانبها ولا تعرف سعة الصفة، ولكن يبدو أنها كانت تتسع لعدد كبير، حتى إن النبي ﷺ استخدمها في وليمة حضرها ثلاثمائة شخص، وإن كان بعضهم قد جلس في حجرة من حجرات أزواجه ﷺ".^(٢)

وسكانها كانوا من الوافدين والغرباء، الذين قدموا المدينة وأعلنوا إسلامهم إلى جانب المهاجرين انضم أفراد من الأنصار حباً لحياة الزهد والفقر.

وقد انقطع هؤلاء لطلب العلم، فكانوا يقرؤون القرآن ويتدارسون آياته وقد ساهم بعض الصحابة في تعليمهم كعبادة بن الصامت.^(٣)

وبرز بعضهم فأصبح راوية للإسلام وأكثر الصحابة حفظاً للحديث وهو أبو هريرة رضي الله عنه وكان من عرفائهم.^(٤)

لقد ساهم النبي ﷺ في رعاية أهل الصفة علمياً، فقد كان يتعاهدهم بالدرس، وقد يكلف آخرين بالمشاركة في تعليمهم كعبادة بن الصامت وغيره.

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام: ٦ / ٦٧٨.

(٢) - الدكتور أكرم العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة: ص: ٩٠.

(٣) - ابن ماجه: السنن - كتاب التجارات - باب الأجر على تعليم القرآن: ٢ / ٧٣٠.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب حفظ العلم: ١ / ٢٥٨.

لقد تخرج من مدرسة الصفة المشاهير من الصحابة الكرام الذين أسهموا في نقل العلم والرواية.

ويكفي أن نذكر من هؤلاء عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري، وسعد بن أبي وقاص، وسالم المولى أبي حذيفة، وزيد بن الخطاب، وغيرهم كثير.

أما جملة من آوى إلى أهل الصفة مع تفرقهم، قيل أربعمئة وقال قتادة بلغوا: تسعمئة^(١)، "ولا تعارض بين القولين، فعدد قاطني الصفة يختلف باختلاف الأوقات والأحوال"^(٢).

حقاً إن جامعة الصفة نموذج رائع، وأهم ما كانوا يتميزون به هو تحمل العلم والعمل معاً.

المطلب الثالث: المساجد الأخرى:

لم تخل المدينة المنورة من مساجد غير المسجد النبوي، وحيث ما ذكر المسجد ذكرت معه حلقات العلم، فقد كان هناك مسجد قباء وكان النبي ﷺ يزوره كل سبت ماشياً وراكباً^(٣)، وبالتأكيد كان يعقد لهم مجلساً للعلم.

ويذكر البلاذري^(٤): "أنه كان بالمدينة في ذلك الوقت تسعة مساجد وبالتأكيد كانت تعقد فيها حلقات العلم شأن المسجد في ذلك الزمان، وعبر تاريخ الأمة الإسلامية الطويل.

(١) - التراتيب الإدارية: ١ / ٢٤٠.

(٢) - أبو نعيم: الحلية: ١ / ٣٣٧.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب فضائل الصلاة في مكة والمدينة - باب من أتى قباء كل سبت: ٣ / ٨٣.

(٤) - الأنساب: ١ / ٢٧٣.

المطلب الرابع: أماكن متفرقة:

أشارت بعض الروايات إلى وجود مراكز علمية أخرى، منها دار مخرمة بالمدينة، وكانت تعرف بدار القراء، ويبدو أن اتخاذ هذه الدار كان مبكراً وأسست بمجهود مصعب بن عمير، المعلم الأول الذي أرسله النبي ﷺ إلى المدينة وأعقبه بابن أم مكتوم ليساعده في ذلك.

قال البراء: "أول من قدم علينا مصعب بن عمير، ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم فقالوا له: ما فعل من ورائك؟

قال: هم على أثري^(١)، وعندما وصل نزل بدار القراء وهي دار مخرمة بن نوفل".^(٢)

وربما تطورت هذه الدار بعد مقدم النبي ﷺ إلى المدينة وزيادة عدد المسلمين وكتاب الوحي، وربما كانت هناك بعض الكتايب لتعليم الصغار.^(٣)

بيوت النبي صلى الله عليه وسلم:

كان لها نصيب وافر من التعليم، فكثيراً ما كان يعلم أمهات المؤمنين اللاتي تحملن عنه العلم، وساهمن في إثراء الحياة العلمية والعملية وبالأخص أحواله ﷺ الخاصة التي لم يطلع عليها غير أمهات المؤمنين، ومن الذين تربوا في بيت النبوة وحملوا عنه علماً وفقهاً: الغلام اليافع حالة التحصيل، وحبر الأمة فيما بعد ابن عباس رضي الله عنه.

ولعل عامل القرابة لرسول الله ﷺ من جهة، وأن خالته ميمونة أم

(١) - الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١ / ٣٦١.

(٢) - ابن سعد: الطبقات: ٤ / ١٥٠.

(٣) - العلم: لأبي خيثمة: ١٧.

المؤمنين مكنته من تحمل العلم وكثيراً ما نقل عنه كيفية صلاته ونومه وطهوره وسواكه، ينقل ذلك في قصة ميته في حجرة النبي ﷺ عند خالته ميمونة حيث نام الثلاثة على وسادة واحدة.^(١)

الأماكن العامة:

وكثيراً ما يستدعي الأمر لأن تكون الأماكن العامة مجالس للعلم والدرس في المناسبات، أو عندما يكون العدد كبيراً في مناسبات الزواج والأعياد، وشتى أنواع التواصل الاجتماعي كعيادة المرضى والزيارات الميدانية المتنوعة، كل ذلك كان فرصة لتوجيه الناس وتعليمهم، هذه بعض الإشارات إلى أماكن التعليم التي كانت تعقد فيها حلقات الدرس والتي توسعت خلال الحقب التالية من تاريخ الإسلام.

^(١) - البخاري: الصحيح - كتاب الوضوء - باب غسل الوجه باليدين من غرفة واحدة: ٢٩٠/١. وانظر: باب وضع الماء عند الخلاء: ٢٩٤/١، ومواضع: أخرى من روايات ابن عباس رضي الله عنه.

المبحث الثاني

أوقات التعليم:

المطلب الأول: وقت الصباح:

جاء الإسلام لينظم الحياة بكافة أشكالها، ورأس مال الأمة هو الوقت فإذا ضاع الوقت ضاعت الأمة، ولُبُّ الوقت فترة الصباح المبكر... فعن أنس رضي الله عنه وهو شاهد عيان يتحدث فيقول: "كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرؤون القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن"^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اغدوا في طلب العلم، فإني سألت ربي أن يبارك لأمتي في بكورها...»^(٢).

وقد كان ﷺ أكثر ما يقوله لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وفي بعض الأحيان يباشر هو بنفسه فيقص عليهم ما رآه، ورؤيته حق ووحي.^(٣)

ولعل تعبيره هذا يكون تمهيداً للدرس، وتشير روايات كثيرة إلى أن فترة الصباح إلى الظهيرة كانت لتلقى الدروس، منها قول أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم النبي ﷺ

(١) - الهيثمي: مجمع الزوائد: ١ / ١٢٧.

(٢) - نفس المصدر: ١ / ١٢٧.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب النفير - باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح:

بشع بطنه، ويحضر مالا يحضرون ويحفظ مالا يحفظون^(١).

والغالب على العمل في التجارة والمزارع هو وقت الصباح إلى الظهر الذي انشغل به كل من المهاجرين والأنصار وحفظ فيه أبو هريرة الحديث وتحمل العلم.

وقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في النزول والتناوب مع جاره الأنصاري على النبي ﷺ، يستفاد أن وقته كان في الفترة الصباحية، لأنهما كانا يسكنان خارج المدينة.^(٢)

وقصة أخرى من صحابي آخر تبين مدى حرصهم على العلم وارتداد المسجد النبوي، فهذا سليط رضي الله عنه أرجع أرضاً اقتطعه إياها رسول الله ﷺ لما قيل له: لقد نزل بعدك من القرآن كذا وكذا... فرد الأرض وقال: "لا حاجة لي في شيء يشغلني عنك"^(٣)، وغالباً ما كان العمل بالأرض في فترة الصباح، أما المساء فللراحة عادة.

هذا ومن المعروف أن أول النهار هو أخصب الفترات، فلا غرابة في أن يكون هو الوقت المعتمد لتحصيل العلم في عصر السيرة.

المطلب الثاني: عقب الصلوات:

قلنا بأن للمساجد رسالة متميزة، ألا وهي إشاعة العلم، ولما كان الصحابة يرتادون المسجد لخمسة أوقات، دأب النبي ﷺ على تزويدهم بالعلم، فهذا العرياض بن سارية يقول: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة

(١) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب حفظ العلم: ١ / ٢٥٨.

(٢) - البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب التناوب: ١ / ٢٢٣.

(٣) - الأموال: ٢٧٢ - ٢٧٣.

الفجر، ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون.. الحديث»^(١).

وتشير رواية في صحيح مسلم إلى أنه ﷺ خطب بعد كل صلاة من الصلوات الخمسة ليوم كامل.^(٢)

ومرة تأخر النبي ﷺ عن الصلاة، فأمر الناس أبو بكر، فقدم النبي ﷺ أثناء الصلاة فصفق الناس، وبعد الصلاة علمهم أصول الصلاة.^(٣)

وحتى وهو يخطب على المنبر يوم الجمعة، يذلل العلم لمن هو بحاجة إليه، فعن أبي رفاعه قال: "انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب، قال: فقلت: يا رسول الله؟ رجل غريب، جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتى بكرسي، حسبت قوائمه حديداً، قال: فقعده عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى الخطبة فأتم آخرها"^(٤).

وربما باشر التعليم من على المنبر كما حدث لسليك الغطفاني عندما دخل المسجد والنبي ﷺ قائم يخطب، فجلس فقال: له رسول الله ﷺ: يا سليك قم فاركع ركعتين.^(٥)

(١) - الدارمي: السنن - باب اتباع السنة: ١ / ٤٤.

(٢) - مسلم: الصحيح - كتاب الفتن - باب أخبار النبي ﷺ إلى قيام الساعة: ٤ / ٢٢١٦.

(٣) - البخاري: الصحيح - كتاب أحكام السهو - باب الإشارة في الصلاة: ٣ / ١٠٧.

(٤) - مسلم: الصحيح - كتاب الجمعة - باب حديث التعلم في الخطبة: ٢ / ٥٩٧.

(٥) - نفس المصدر - باب التحية والإمام يخطب: ٢ / ٥٩٧.

المطلب الثالث: أوقات متفرقة:

سبق وأن أشرت إلى أن حياة النبي ﷺ كلها تعليم، ولذلك ففي أي ساعة من ليل أو نهار، وبحسب الظروف والأحوال كان عليه الصلاة والسلام يعلم الصحابة رضوان الله عليهم، فعن علي رضي الله عنه قال: "كنا في جنازة بقيق الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ وقعدنا حوله ومعه مخرصة فنكس وجعل ينكت بمخرصته، ثم قال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده في النار ومقعده في الجنة، فقالوا يا رسول الله: أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له".

وعنون الإمام البخاري لذلك فقال: "باب موعظة المحدث عند القبر" ^(١).

وكثيراً ما كان يزور الناس في بيوتهم أو يعود مرضاهم ويعظهم ويعلمهم ^(٢) ولا يدع فرصة إلا ويث فيها علماً، وقد حصل لمعاذ رضي الله عنه وغيره كثيراً ^(٣).

ومرة كان في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها وسمع بالباب أصوات رجلين فخرج إليهما وأرشدهما ^(٤)، هذا عدا الأسئلة التي كانت توجه إليه عليه أفضل الصلاة والسلام.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن المعلم الأول الذي كان يقوم بمهمة التعليم هو رسول الله ﷺ، ولكنه كلف بعض الصحابة بمباشرة التعليم. ولا توجد إحصائية تحدد عدد أولئك المعلمين، ولكن بعض الروايات تشير إلى بعض

(١) - البخاري: كتاب الجنائز: ٣ / ٢٢٥.

(٢) - أحمد: المسند: ٣ / ١١.

(٣) - البخاري: كتاب العلم - باب من خص بالعلم قوماً: ١ / ٢٢٥.

(٤) - البخاري: الصحيح - كتاب الصلح - باب هل يشير الإمام بالصلح: ٥ / ٣٠٧.

من قاموا بالتعليم في حياته ويأشرفه ﷺ ، ومنهم :

- (١) معاذ بن جبل .
- (٢) عبادة بن الصامت .
- (٣) علي بن أبي طالب .
- (٤) أبو موسى الأشعري .
- (٥) عبد الله بن سعيد بن العاص .
- (٦) أبو ذر الغفاري .
- (٧) عمرو بن حزم .
- (٨) الشفاء أم سليمان .
- (٩) عائشة رضي الله عنها .
- (١٠) عبد الله بن مسعود .

الخاتمة

وفيها أهم نتائج البحث بنقاط محدودة:

- ١) أن محمداً النبي ﷺ هو أول من وضع خطة تعليمه شاملة على وجه الأرض.
- ٢) الإسلام دين منهجي يعتمد على التخطيط ويأخذ بالتجربة.
- ٣) التأهيل عنصر أساس في الإسلام لصيانة الأمة والمحافظة على هويتها.
- ٤) رعى الإسلام التخصص وحث عليه، وفتح الباب للمزيد تلبية لحاجيات المجتمع.
- ٥) يتيح الإسلام الإفادة من الأمم الأخرى ما لم يتعارض مع العقيدة والشرعة والقيم.
- ٦) الاتصال بالأمم والأجناس وتعليمهم بالمستطاع من الوسائل أمر رعاه الإسلام.
- ٧) إن أول من طبق التعليم المجاني هو محمد ﷺ.
- ٨) العناية بالوافدين وطلبة العلم الغرباء سمة من سمات المجتمع المدني.
- ٩) تعتبر جامعة الصفة أول جامعة إسلامية متكاملة.
- ١٠) اعتمد النبي ﷺ البعثات التعليمية خارج المدينة المنورة كأسلوب من أساليب نشر العلم.
- ١١) ركز النبي ﷺ على تربية النشء وتعليمه والعناية به.
- ١٢) أولى النبي ﷺ عناية فائقة بالمرأة وتعليمها لتأخذ مكانها في المجتمع.

(١٣) لم يدخر النبي ﷺ وسعاً في استعمال المتاح من وسائل التعلم في ذلك العصر.

(١٤) اهتم النبي صلى اله عليه وسلم بقضية الأداء مراعيّاً ذلك في:

أ. أفهام السامعين وعقولهم.

ب. الأخذ بقاعدة التدرج.

ج. التخول في الدرس.

د. استعمال الأمثال والقصص.

هـ. اعتماده أسلوب الامتحان كوسيلة للتقويم.

(١٥) نظام الحلقات هو النظام الذي كان سائداً في عصر السيرة.

(١٦) أماكن التعليم: المساجد بصفة رئيسية وبعض الدور.

(١٧) الفترة الصباحية هي الفترة المعتمدة في التدريس.

(١٨) كما أن أوقات الصلوات مناسبة للتعليم.

(١٩) خص النبي ﷺ بعض الصحابة بالعلم لمعاونته في التعليم.

(٢٠) وأخيراً، فكل وقت النبي ﷺ من ليل أو نهار أو سفر أو حضر تعليم

بدقة، وحسن أداء مع أدب عالٍ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه واقتفى

أثره إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، لعمر فهد المعروف بالنجم - تحقيق فهد محمد شلوات، ط: مكتبة الخانجي - القاهرة.
- الإجابة فيما استدرسته عائشة على الصحابة / للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط: المكتب الإسلامي: ١٣٩٠.
- إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، ط / دائرة المعرفة - بيروت - لبنان.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، مطبوع بحاشية الإصاغة ط: دار صادر - بيروت.
- الإصاغة في تميز الصحابة، لابن حجر، ط: دار صادر - بيروت.
- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، بعناية محمد حامد الفقهي، نشر مصطفى محمد - القاهرة.
- أنساب الأشراف، للبلاذري، تحقيق محمد حميد الله، ط: الأولى - القاهرة.
- تحفة الأحوذى، المباركفوري، ط: دار الفكر.
- تدريب الراوى، للسيوطى، تحقيق عبد القادر حسونه، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- التراتيب الإدارية، الكتاني، ط: الرباط.
- تقييد العلم، للخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف العش، ط: دمشق ١٩٤٩ م.

- الجامع الصحيح ، للإمام البخاري مع شرحه فتح الباري ، ط : الدار السلفية - مصر .
- الجامع الصحيح ، للإمام مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي ، تحقيق : د . محمود الطحان ، ط : مكتبة المعارف - الرياض .
- الجامع الصغير ، للسيوطي ، ط : دار المعرفة - بيروت .
- جامع الترمذي ، للإمام الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى للمباركفوري ط : دار الفكر .
- جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر الأندلسي ، ط : دار الفكر .
- جوامع السيرة ، لابن حزم الظاهري ، تحقيق : ناصر الدين الأسد - القاهرة ١٩٥٦ م .
- حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ، ط : مؤسسة الخانجي - القاهرة ١٩٣٢ م .
- خليفة بن خياط ، تحقيق د . أكرم ضياء العمري ، ط : مؤسسة الرسالة - بيروت .
- سنن البيهقي ، للإمام البيهقي ، ط : دار الفكر - بيروت .
- سنن الدارمي ، للإمام الدارمي ، ط : دار الكتب العلمية - نشر دار السنة النبوية .
- سنن ابن ماجه ، لابن ماجه القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ط : دار الفكر - بيروت .

- سنن أبي داود، السجستاني مع شرحه عون المعبود - نشر مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- شرح السنة، للإمام البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط - زهير الشاويش ط: المكتب الإسلامي.
- طبقات الأطباء، لابن جليل، تحقيق: فؤاد السيد - القاهرة ١٩٥٥ م
- الطبقات، لابن سعد، ط: ليدن.
- الفتح الرباني، ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني للساعاتي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ط: المكتبة السلفية - مصر.
- فتوح البلدان، للبلاذري، تحقيق: صلاح الدين المنجد - القاهرة.
- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تصحيح وتعليق إسماعيل الأنصاري، ط: دار إحياء السنة النبوية.
- كتاب النبي، د. محمد مصطفى الأعظمي، ط: شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- المجتمع المدني في عهد النبوة، د. أكرم العمري، ط: مركز البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ الهيثمي، ط: مؤسسة المعارف بيروت - لبنان.
- المستدرک علی الصحیحین، للإمام الحاكم النيسابوري، ط: حيدر آباد - الهند.

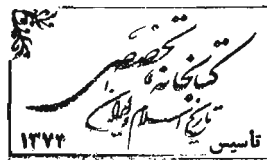
- المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي دار
البراز - مكة المكرمة.
- الموطأ، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الحديث
- مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد، ط: دار صادر - بيروت.
- الوثائق السياسية، محمد حميد الله، ط ٣: بيروت ١٣٨٩ هـ.
- الوزراء والكتاب، محمد بن عبدوس الجهشياري، تحقيق: إبراهيم
الأيباري، ط: بالقاهرة.

فهرس الموضوعات

المقدمة:	٣
التمهيد	٩
أولاً: حالة المجتمع العلمية والثقافية عند البعثة النبوية:	٩
ثانياً: القرآن الكريم يدعو إلى التعلم والتعليم:	١١
ثالثاً: السنة تدعو إلى التعلم والتعليم:	١٣
الفصل الأول: خطة النبي ﷺ التعليمية	١٧
تمهيد:	١٧
المبحث الأول: التأهيل العام:	١٨
١- الخطب العامة:	٢٢
٢- مواعظه ودروسه العامة في المسجد بعد الصلوات:	٢٣
٣- أجوبته عن الأسئلة نوع من التأهيل:	٢٣
٤- شهوده المناسبات:	٢٤
المبحث الثاني: التخصص:	٢٧
المبحث الثالث: التعليم المجاني:	٣٣
المبحث الرابع: كفاءة المتعلمين:	٣٥
المبحث الخامس: تعليم النساء:	٣٩
المبحث السادس: تعليم الأطفال:	٤٩
المبحث السابع: البعثات الخارجية:	٥٧
المبحث الثامن: إرسال الكتب والرسائل:	٦٠
المبحث التاسع: الإفادة من الأمم الأخرى:	٦٣
المبحث العاشر: إنشاء المدارس:	٦٦
الفصل الثاني: الوسائل التعليمية	٧٣

المبحث الأول: المشافهة:	٧٣
المبحث الثاني: الكتابة:	٧٥
المبحث الثالث: العرض:	٧٨
المبحث الرابع: التعليم العملي:	٨٠
المبحث الخامس: الوسائل التوضيحية:	٨٣
الفصل الثالث: أساليب التعليم وطرق الأداء	٩١
تمهيد :	٩١
المبحث الأول: تهيئة الجو الدراسي:	٩٤
المبحث الثاني: التمهيد للدرس:	٩٦
المبحث الثالث: إعادة الحديث:	٩٩
المبحث الرابع: مقدار الصوت المطلوب:	١٠١
المبحث الخامس: الحوار والمناقشة:	١٠٢
المبحث السادس: التلطف في الأداء:	١٠٧
المبحث السابع: الغضب عند الأداء:	١١٠
المبحث الثامن: جدولة الأداء العلمي:	١١٢
المبحث التاسع: التدرج في التعليم:	١١٦
المبحث العاشر: الأداء العلمي عن طريق إجابة السؤال: ...	١٢٠
المبحث الحادي عشر: ضرب الأمثلة:	١٢٣
المبحث الثاني عشر: القصص:	١٢٥
المبحث الثالث عشر: الامتحان:	١٣٢
الفصل الرابع: نظام التعليم	١٣٧
تمهيد	١٣٧
المبحث الأول: أماكن التعليم وكيفية:	١٣٨
المطلب الأول: المسجد النبوي:	١٣٨
المطلب الثاني: جامعة الصفة:	١٤٠

المطلب الثالث : المساجد الأخرى :	١٤١.....
المطلب الرابع : أماكن متفرقة :	١٤٢.....
بيوت النبي صلى الله عليه وسلم :	١٤٢.....
الأماكن العامة :	١٤٣.....
المبحث الثاني: أوقات التعليم:	١٤٤
المطلب الأول : وقت الصباح :	١٤٤.....
المطلب الثاني : عقب الصلوات :	١٤٥.....
المطلب الثالث : أوقات متفرقة :	١٤٧.....
الخاتمة	١٤٩
المصادر والمراجع	١٥١.....
فهرس الموضوعات	١٥٥.....



محبیه دارالزمان

DAR ALZAMAN BOOKSHOP



0011000779

SR. 15

14/1